ديوان

الحصـــــاد المـــــر

(الملحمتان)

شعر

أ.د.عبد العزيز الحاج مصطفى

الحصـــاد المـــر (الملحمتان)

أ.د. عبد العزيز الحاج مصطفى

كلمة في الأصول

في محاضرة في تاريخ النقد الأدبي ، سأل الطالب أستاذه قائلاً: متى ولد الناقد الأول؟ فأجاب الأستاذ: عندما ولد الشاعر الأول. ثم سأله: و متى ولد الشاعر الأول؟ فأجابه: عندما ولد الإنسان الأول .

وهذا معناه: أن الأصول الشعرية بعامة تنحصر في القيم الشعورية والتعبيرية الخاصة بالإنسان ؛ والاختلاف بينها من إنسان لآخر نسبي . والشعراء بخاصة يحتلون الحيّز الأكبر منها ، و بها يمتاز بعضهم من بعض . وتبقى الأصول تلعب دورها. فأصحاب الأصول المنتمية يختلفون من حيث القيم عن أصحاب الأصول غيرالمنتمية الذين يتصرفون بعيدا عن معاناة أهلهم وذويهم والخلق الذين هم جزء منهم. ولاشك أن الفارق كبير بين من يقف في صحن داره ، وهو يرى حجراته التي كانت ذات يوم مرتع صباه ، وقد أحالتها قنابل الجناة إلى أطلال خَرِبة ، فتتحول طاقته الشعورية إلى قيم غاضبة تصب جحيمها على المعتدين ، وبين آخر من اللامنتمين الذين يريدون أن يعيشوا ، بعيدا عن معاناة أهلهم وذويهم. والفرق كبير بين هؤلاء ! بين ابن الأصول المنتمي لأمته ووطنه ، وبين ذاك المجرّد من القيم ، وقد اختزن في ذاته الهابط والساقط! فخرج من خانة الأصوليين ولم يكن واحدا منهم !!! والمسألة معيارية ؛ لا نقول في خانة الشعر بخاصة ، وإنما هي عامة و يمكن أن يقاس عليها في مناحي الحياة المختلفة ، ولدن الناس بعامة .

ديوان

الحصـــــاد المـــــر

(الملحمتان)

شعر

أ.د. عبدالعزيز الحاج مصطفى

دار الأرقم للطباعة والنشر

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١

سورة آل عمران

الإهـــداء

إلى روح الشهيد عبدالحميد الحاج مصطفى ، أبي العز الفارس

الذي عاد إلى وطنه سنة ٢٠١٢م ، بعد أن غادره طفلاً مع عائلته سنة ١٩٨٢م إبان ثورة الثمانينيات.

لقد خاض في سورية أشهر المعارك وأقدسها ، فأثَّل من الأمجاد ما تقرُّ به العيون ، وتبيَضُّ به الوجوه ، ويؤكد على صحة المسار ، ولم ينكث عن الدرب أو يحيد عنه ، طوال الفترة التي قضاها في سورية. وقد ظل كذلك إلى أن أصابت يد الخيانة والغدر منه مقتلاً ، وذلك في عصر يوم الجمعة من تاريخ ٢٠١٤/٦/٢٠م.

فعليه السلام في الأولين ، وعليه السلام في الآخرين ، وعليه السلام في يوم الدين ، ورحمه الله رحمة واسعة ، ورضي عنه ، وأسكنه فسيح جناته.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الشـــكر

الشكر لله الذي هدانا وأرشدنا إلى صراطه المستقيم ، ولم يجعلنا من المغضوب عليهم ، ولا الضالين.

والشكر لأخ لي لم تلده أمي ؛ كان معي في سراء الحياة وضرائها ؛ في عسري ويسري ، ومنشطي ومكرهي ؛ صحبني في مواقفي ، ولم يسلمني لعدوي ، أو يخذلني ، أو يظلمني ، أو يهضمني ، بحال من الأحوال و في المواقف المصيرية ، وقد جد جديدها ، كان رجل القضية وصاحب الموقف بذلاً وتضحية ، ومساندة ودعماً.

والشكر لصديق صدوق انتصر لقضيتي داخلاً وخارجاً ، ولم يتخلَّ عني في المواقف المصيرية كافَّة ، وقد تعهدني بكل أشكال الدعم ، ولا يزال كذلك.

الفهـــرس

الوعد الحق ١

نظرة في سياسات النظام ٢

المتوالية الموضوعية (الملحمة الاولى) ١٩

(١) المآلُ الحَزين ٢١

(٢) الشُّعورُ الحَزين ٢٣

(٣) الوَاقِعُ الحَزين ٢٥

(٤) الاعتذار الأول ٢٧

(٥) الاعتذار الثاني ٢٩

(٦) الاعتذار الثالث ٣١

(٧) الاعتذار الرابع ٣٢

(٨) الشِّعْرُ إحْساسٌ ٣٣

(٩) الشعرُ إلهَامٌ ٣٤

(١٠) صدق أخي ٣٦

(١١) ذَكَرْتُكَ في ماضٍ ٣٨

(١٢) ذَكَرْتُكَ في مَاض – ثانيا ٤١

(١٣) وغَدَوْتُ أسْأَلُ ٤٥

(١٤) النَّجْوَى الحَزِينة كنَّا معا ٤٨
(١٥) ماذا عَلَيَّ ٥١
مِنْ مِهَادِ الذِّكْرَى – (الملحمة الثانية) ٥٧
(١) ذَكَرْتُكَ – أولا ٥٩
(٢) ذَكَرْتُ إخائي ٦٠
(٣) ذَكَرْتُ الحِمَى ٦١
(٤) ذكرتُ إخواني ٦٢
(٥) ذَكَرْتُكَ – ثانيا ٦٧
(٦) ذَكَرْتُ أُصَيْحابي ٦٩
(٧) فتى الموقف ٧١
(٨) هُمُ القَومُ ٧٣
(٩) ذَكَرْتُكَ – ثالثا ٧٥
(١٠) ذَكَرْتُكَ – رابعا والأيام يخضلُّ دمعها ٧٦
(١١) ذَكَرْتُكَ وَ الأيامُ جَدَّ جَدِيدُها ٧٩

الوعد الحق

عندما غادرت مِنَّغَ سنة ١٩٨١م ، تركت بين ملفاتي – وقد كنت وقتها مديرا لمدرستها – قصيدة وسمتها بـ (الوعد الحق) وقد أمَّلْتُ منها ، أن تكون عهدة لدن أولئك الذين يأتون من بعدي ، أو يجيؤن على إثري ، أو تكون للأبناء من الناشئة بعامة ؛ ممن على أيديهم سترتفع بيارق التحرير إن شاء الله. ومما جاء فيها:

أُنْظُـــرِ القاتِـــلَ يَـــرْقُصْ وأخـــو المِقْتُـــولِ غَـــاف
سَـــكِروا في القُحْـــفِ وهْـــوَ نَـــائِمٌ ، والأمْـــرُ خَـــافٍ
مَهْمـــا طَـــالَ الليـــلُ فهْـــوَ مُـــوقَظٌ ، لا شَـــكَّ نـــافٍ
وَسَـــنا عَـــنْ مُقْلَتَيْـــه طَالـــبٌ ثـــأرَ أخَيـــه
أَيُهـــا الظَـــالِمُ مَهـــلا إنَّ ظُلمـــي لـــن يَـــدُومْ
فـــانْتظِرْ ثَـــوْرةَ شَـــعْبٍ هـــيَ مِـــنْ خَلْـــفِ الغُيـــومْ

هـيَ كالبُرْكَـانِ كـالزِلْزالِ كالصَـيْحَةِ في النـاسِ
كأيـــــــــامٍ حســـــــــوم
قَـــــدَرُ اللهِ نِهايـــــاتُ الظَلُـــــومْ
قَـدَرُ اللهِ بـأنَّ الظُلْـمَ حَتْمـا لـن يَـدومْ
فارتَقِبْـــــهُ يـــــا ظلـــــومْ

مِنَّغ ، الأشهر الأخيرة من ١٩٨٠م

نظرة في سياسات النظام

الحصاد المرّ – والكتاب يفهم من عنوانه – هوفصل من حكاية وطن تداعى عليه الأعداء ، وخذله الأصدقاء ، وخانه الأدعياء ؛ من مسؤولين ورؤساء ، فكان حصاده مرّا حقيقة! ولم تفلح جهود الأبناء ، بتجنيبه ما حدث ؛ فكانت الكوارث ، وكانت المحن ، وكانت المآسي التي تتجاوز الحدود! ومنها التدمير والتهجير ، والقتل على الهوية ، ودك القرى والمدن ، وتغيير البنى الديموغرافية ، والاستعانة بالأجنبي ، واستقدام المرتزقة والعدوانيين من بلدان شتى ، لقتل السكان الآمنين! الأمر الذي أدى إلى ما نحن فيه من واقع أليم يصعب وصفه ، أو تقبله ، أو معرفة النتائج الخطيرة التي قد تترتب عليه ؛ وهي أكبر من أن يحاط بها ، أو أن تدرك أبعادها ؛ فهي في حاجة إلى خبرة الخبير ومعرفة البصير لفهم ما تنطوي عليه من مخاطر! سيما في هذه الظروف الصعبة. بل إلى أصحاب الضمائر الشريفة ، والعقول النظيفة ، والأيدي غير الملوثة لمعرفة ذلك ولفهمه. وهذا ما حفلت به الملحمتان (المتوالية الموضوعية) و (من مهاد الذكرى) على وجه التحديد. وقد حفلتا بمشاعر مؤلمة جداً ، وبرؤى ممتدة تتجاوز الواقع إلى ما هو أبعد ، وتحاول بأمانة أن تزيح الستار عن مشهد تراجيدي ، مفعم بالمرارة والألم ، وأن تكشف ما فيه بشاعرية شاعر ، وبعقلية مفكر ، وبرؤية منتم لوطنه ، ولأمته ولدينه الإسلامي الحنيف. ونظراً لخصوصية كل (ملحمة) ، وقد

اختلفتا زماناً ومكاناً ، و وقائع وأحداثاً، فقد رأينا أن يكون لنا مع كل واحدة منها وقفة مفردة.

أولاً: ملحمة (المتوالية الموضوعية):

يمكن القول أن المتوالية الموضوعية كتبت في ربيع سنة ١٩٨٢م بعد أحداث حماة الدامية ، التي كان مبدؤها في الثاني من شباط من هذه السنة ، ولم تستمر أكثر من أسبوع واحد أو أسبوعين على أكثر تقدير، وإن كانت نتائجها مذهلة ، وقد استخدمت السلطة وقتها الدبابات والمدفعية والطيران الحربي لدك المدينة بعد حصارها براً وجواً ، ولاستباحتها من قبل جنودها الملقنين والمعلمين كيف يتصرفون ، وبعد عن الهوامش الأخلاقية ، أو المشاعر الوطنية أو القومية أو الإسلامية أو حتى الإنسانية العامة!!!

جاء في حديث لميشيل كيلو ، وهو أحد وجوه الائتلاف الوطني بعد ٢٠١١م قال: قال لي (علي دوبا): "السيد الرئيس لبد لأهل حماة سنة ١٩٨٢م ، فقتل منهم أربعين ألفاً". وعلي دوبا من رجال المخابرات السورية في ذلك الوقت ، وهو من المطلعين على ما يفعله رأس النظام ، ومن المنفذين أوامره ، والمسؤولين معه عن كل ما حدث!

وأحداث حماة – قيل ما قيل عنها – فهي من الجرائم التي ارتكبتها قوات النظام في مواجهة ثورة الشعب السوري التي كان مبدؤها انقلاب آذار سنة ١٩٦٣م ، ثم استمرت بشكل تصاعدي حتى كان أخيرها أحداث حماة الدامية. وقيل ما قيل عن أسباب الثورة منذ الستينيات وحتى الثمانينيات ، فهي لا تخرج عن سببين رئيسين:

السبب الأول – خارجي: وإذا صرفنا النظر عن الصراع الذي نشب بين العالم الإسلامي ، والعالم المسيحي في أثناء الفتح الإسلامي الأول ، وفي أثناء الحروب الصليبية التي استجدت سنة ٤٩٢هـ ، واستمرت إلى سنة ٦٩٢هـ مدة قرنين من الزمان ، وعن الاستعمار الحديث الذي غطّى أكثر العالم الإسلامي بعد ذلك ، وقد عد امتدادا لتلك الحروب ، فإننا لا نملك إلا التسليم جدلاً بالمستجد الحديث مع نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين. ففي سنة ١٨٩٧م عقد المؤتمر الصهيوني الأول الذي تبنى فكرة الدعوة لقيام الدولة اليهودية في فلسطين. وفي هذا المؤتمر قدم تيودورهرتزل مقترحه التاريخي الذي يقول بضرورة تقسيم منطقة الشرق الأوسط على أساس عرقي ومذهبي على أن تكون السيادة فيها للدولة الصهيونية. وقد لاقى المقترح الصهيوني قبولا لدن الحلفاء الأمر الذي نجم عنه بعد ذلك:

١. اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٦م: التي قضت بتجزئة بلاد الشام ، وقد وزّعت على مناطق نفوذ بين الدولتين الحليفتين ؛ بريطانيا ، وفرنسا. وكانت (فلسطين) من حصة بريطانيا ، التي تبنت فكرة قيام الدولة اليهودية فيها.

٢. وعد بلفور سنة ١٩١٧م: وفيه الوعد البريطاني بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

٣. سياسة غورو في سورية: وقد قسمها على أساس طائفي ومناطقي بناء على ما جاء في مقترح هرتزل. ثم لما لم يفلح في تلك القسمة أنشأ قوات المشرق الخاصة. وقد قضت أوامره بأن تكون عمدتها من الأقليات ، ومن العلويين على وجه الخصوص ، ولا تزيد نسبة السنة فيها على ٣٠ %. وفي حالات خاصة على ٥٠% كقطعات المشاة التي تحتاج عددا أكبر من الأفراد. وهذه السياسة هي التي ظلت متبعة طوال فترة الانتداب ، ثم كتب لتلك القوات أن تكون نواة الجيش العربي السوري في مرحلة ما بعد الاستقلال. وبسبب من هذه الخصوصية كرّت الانقلابات في سورية ، ولم تتوقف إلى أن سلمتها للطائفيين في الثامن من آذار من سنة ١٩٦٣م. وزعماء الانقلابات بعامة كانوا مرتبطين بالأجنبي ، ويأتمرون بأمره ، ابتداء من حسني الزعيم الذي تلوثت يداه بصفقة التابلاين ، ومرورا بحافظ

أسد الذي تلوث شخصه ببيع الجولان ، وبسياساته العدوانية في لبنان ، وباصطفافه مع إيران إبان حرب الخليج ، وكل ما جرى ويجري في سورية من دمار منذ ثمانينيات القرن الماضي وإلى اليوم ، قد كان بسببه ، وبسبب سياسته الطائفية التي أدت إلى ذلك!!!

السبب الثاني – داخلي: هذا السبب يتعلق ببنية النظام التي استحدثت بعد الثامن من آذار سنة ١٩٦٣م ، وقد تمثلت بثلاث سياسات:

أولاً ـ سياسة المراوغة والمخاتلة: وقد تمثلت هذه السياسة بالشعارات الوحدوية التي أعلنت صباح الانقلاب ، وقد كانت مخادعة جداً. وخداعها جاء رداً على الجماهير الغاضبة التي كانت تطالب بعودة الوحدة مع الشقيقة مصر. وقد طرح وقتها شعار (الوحدة المدروسة) لتمييع القضية ، ولجعلها تدور في حلقة مفرغة. حيث لم تؤد المباحثات بين الفرقاء إلا لتعميق الخلافات ولزيادتها.

ثانياً ـ السياسة الطائفية غير المعلنة: وقد أصبحت السياسة الطائفية للنظام التي تعد بحكم غير المعلن أكثر تكشفا بعد عملية تسريح الضباط السنة من الجيش ، و بعد المواجهات الدامية في حماة سنة ١٩٦٤م وبعد قصف جامع السلطان ـ وقد كان ينظر قبل ذلك التاريخ إلى دور العبادة بعامة على أنها من المقدسات التي لا يجوز

المساس بها ـ وبعد اقتياد الشباب إلى السجون والمعتقلات وكأنهم من القتلة والمجرمين. وقد تصاعدت بشكل أكبر بعد الانقلاب على أمين الحافظ سنة ١٩٦٦م ، وقد بدا أمامهم ، وكأنه الرمز السني الذي يجب التخلص منه. وبعد طرح شعار الاشتراكية العلمية ، وقد روجت وقتها الأفكار الماركسية التي تتنكر للدين ، وتقول بحتمية التطور ، وتسخر من التراث ومن عادات الشعب وتقاليده ، وقد تبع ذلك الحديث عن الرجعية ، وعن ماورائية التاريخ ، وعن الاتجاهات السلفية ، وكأنها من مخلفات القرون ، وهذا كله أوجد حفرة عميقة بين الشعب السوري الذي يمجد تاريخه ، ويعده مقدساً ، وبين حكومته التي لم يعد يثق بها ، وقد انسلخت عن قيمه ومبادئه. فكانت المفاصلة النفسية والفكرية ، وكانت المواجهة بعد ، وهذا الذي حدث!

ثالثاً ـ السياسة المتعددة الوجوه للنظام: وقد كان النظام يتخذ من حزب البعث العربي الاشتراكي ستاراً لتلك السياسات. وقد شكل الحزب يومئذ غطاء للممارسات الطائفية ، ولسياسة الإقصاء التي اتبعها ، فهو فضلاً عن لائحة العزل السياسي التي طالت كبار السياسيين في مرحلة ماقبل الثامن من آذار سنة ١٩٦٣م بعد أن عدتهم من الإقطاعيين والرأسماليين والرجعيين جعل كل همه –

وبشكل مبرمج – إبعاد المكون الأكبر (السنة) التي تبلغ نسبتها ٧٩% من مجموع سكان سورية عن المواقع السيادية في الدولة والمجتمع وهذه السياسة حرمت النظام من حواضنه الشعبية ، بل وجعلت هذه الحواضن مهيأة للثورة ضده ، وعدم التعاون معه. وهكذا نجد أن سياستي النظام الداخلية والخارجية كانتا السبب في إشعال فتيل ثورة الثمانينيات بعامة.

لقد استخدمت الدولة ضد الثورة الكتائب العمالية ، والكتائب الحزبية ، ورجال المخابرات ، وأخيراً الوحدات الخاصة وسرايا الدفاع ، والخبراء الأجانب – الروس على وجه التخصيص – ثم لم تلبث أن زجت بالجيش في المعركة ، فاستقدمت الفرقة العسكرية الأولى إلى حلب ، وقد كانت هذه الفرقة بقيادة شفيق فياض المعروف بلا أخلاقيته ، فلم يفلح في مواجهة تلك الثورة ، وقد كانت شعبية بامتياز ، وقد كان استقر في وجدان السوريين بعامة في ذلك الوقت خطأ ما هم عليه من تأييد لتلك السلطة الباغية ، فناصبوها العداء الضمني ، ولم يكونوا معها أبداً ، وذلك لأسباب ثلاثة:

السبب الأول – يتعلق بطروحاتها الفكرية ، وبالقيم المستوردة من الخارج: وكان هدف النظام من تلك الطروحات ، استبدال هوية الشعب الثقافية بهوية غريبة لاتمت للوطن و المواطنين بصلة. وكان

المقصود قطع السوريين عن تاريخهم ، وعن انتمائهم القومي و الإسلامي ، الذي يعتزون به. ولذلك لم يتقبلوها ، وعملوا على مقاطعتها.

السبب الثاني – يتعلق بسياسات النظام الطائفية: وسياساته لم تكن خافية على أحد ، وعلاقاته مع إيران ، ووقوفه إلى جانبها في الحرب العراقية الإيرانية ، وسياساته في لبنان ، وقد كان خصما لدودا للسنة بعامة.

السبب الثالث – يتعلق بعلاقات النظام ، وبتحالفاته: ولم يكن خافياً على أحد علاقاته مع إيران و روسيا ، أو حتى مع الإسرائيليين والإقليميين الذين كانوا أكثر عداء وخطراً ، وقد كانوا أكثر من متورطين في الجرائم التي حصلت في سورية في العصر الحديث بخاصة!

و(المتوالية الموضوعية) التي تزامنت كتابتها مع أحداث حماة ليست أكثر من صيحة موجهة ، ومن صريخ نابه يراد له أن يوقظ السوريين بعامة ، ليعرفوا النظام على حقيقته ، وليكونوا صفاً واحداً في مواجهته ، وقد أصبح كالأخطبوط الذي ينشب مخالبه في الجسد الوطني ، ولا يزال كذلك!

و (أحداث حماة) ؛ قيل ماقيل عنها فهي المأساة التي قل نظيرها في التاريخ. وهي ترقى إلى مستوى الجرائم الكبرى ، ومن حيث التعريف يمكن أن تعرف بثلاث تعريفات جرمية:

أولها – أنها جريمة (حاكم): وهذا الحاكم – وقد مرت شهادة ميشيل كيلو – هو الذي لبد لأهل حماة وقتل منهم أربعين ألفا. وهذا من ناحية جرمية يدخله في باب القتل العمد ، وعن سابق إصرار وترصد بل ويخرجه من الدوائر الثلاث: الوطنية ، والقومية ، والدينة. وفي تقديرنا: أنه يجب أن يحاكم حيا و ميتا.

ثانيها – جريمة (طائفة): والمعروف أن الذي اجتاح مدينة حماة هو اللواء ٤٧ مدرع وهذا اللواء يمثل قوات النخبة من الطائفة سواء أكان ذلك بقياداته من الضباط ، أم بعناصره المنتخبة ، و إن كان الأمر لا يخلو من بعض المتعاونين من السفلة أو بعض المساقين إلى الجندية الإجبارية. وعلة مافي المسألة ؛ أن الطائفة لم تقف موقفا مشرفا تجاه ذلك! كذلك الذي وقفته الحركة الوطنية وفي مقدمتها مدينة حماة سنة ١٩٥٤م ضد الشيشكلي الذي اتُّهم إبان حكمه بإشعاله الفتنة الطائفية. ولم تشفع له حمويته فتقف المدينة أو قياداتها إلى جانبه ؛ بل عدوه مجرما وثاروا ضده ، وذلك خلاف موقف الطائفة من حافظ أسد وقد ناصرته ووقفت إلى جانبه ولم يصدر

عنهـا مـا يفيـد الاسـتنكار ، أو عـدم الرضـى. والسـكوت إقـرار!!! وذلك خلاف ما كانت قد عوملت به من رحابة صدر ومن نبالة في المواقف ، وهي أكثر من أن تحصى!!!

ثالثهـا – جريمـة جـيش وقـوات مسـلحة: والمعـروف أن مهمـات الجيش تكون أمنية ، وأن الدفاع عن الوطن من الواجبات المقدسة. وكل الانقلابات التي وقعت في سورية منذ ١٩٤٦م وحتى ١٩٦٣م جميعهـا لاقـت قبـولا شـعبيا بنسـبة مـا ، بـل واسـتجابت لإمـلاءات الضـمير في لحظة مـا. وكـل هـذه الاسـتجابات مـن ناحيـة معياريـة لا تساوي عشر تلك التي توجبها أحداث حماة وهي أكثر من موجبة ومع ذلك شهدت تيبسا في الضمير وسقوطا في القيمة لانظير له في تـاريخ البشـر!!! وهـذاما تتحملـه الطائفـة النصـيرية بخاصـة ، ومايجـب أن تسأل عنه.

ثانياً – ملحمة (من مهاد الذكرى):

تغطي ملحمة (من مهـاد الذكرى) مسـاحة زمنيـة تقـدر بثلاثين سنة. وبالتحديـد مـن ١٩٨١/١/١٥م إلى ٢٠١١/١/١٥م ، ثم أضـيف إليهـا سـنة ونصف السنة كمرحلة ثانية ، بعد أن جد جديدها ، وخرج الشعب السوري على جلاديه. وعندكل من المرحلتين لابد من الوقفة المفردة.

أولا – المرحلة الأولى من الملحمة: وتمتد هذه المرحلة من١٩٨١/١/١٥م إلى ٢٠١١/١/١٥م. وخلال هذه المرحلة وقد كانت طويلة وصعبة وقاسية ، وقد بلغت ثلاثين سنة ، كان النظام لايفتأ يزيد قناعة الجماهير بضرورة الثورة عليه ، وخلالها أدركت نخبه المثقفة أن المعركة ضده هي بمثابة معركة الحياة والموت بين شعب يريد الخلاص وينشد الحرية وبين جلاديه المجرمين ، وسارقي لقمة عيشه ومحطمي كبريائه ، من الذين لا خلاق لهم ولا دين ؛ ممن يتسلحون بالغدر والخيانة ، ولا يرتدعون عن فعل فعلوه ، أو حديث قالوه. و قد كثرت بسببهم الفجائع ، والانهيارات الأخلاقية ، وكثرت الآلام والجراح. وقد أصبح السوريون جميعاً بسبب من ذلك واحداً من أربعة:

الأول – غارٌ غافل: اختطفته يد النظام من بيته ، أو معمله ، أو حقله أو معهده العلمي ، أو متجره ، فحمل مسؤولية ما لم يفعل! وسيق إلى الإعدام بموجب القرار رقم /٤٩/ ، الذي يقضي بالحكم بالإعدام على كل منتم للإخوان المسلمين. وتحت هذه التهمة أعدم خلق كثير من ذوي انتماءات شتى! ولم يكن لهم انتماء للإخوان ، أو حتى المشاركة بالأحداث! وقد كانت هذه من الابتلاءات التي أصابت السوريين بعامة ، وأكثر شبابهم أخذ على حين غرة ، وعومل معاملة القتلة والمجرمين.

والثاني – مثقف نابه: اقتيد إلى السجون ، وأودع فيها ، لوشاية من مخبر! لرأي رآه ، أو لمعتقد اعتقده. ثم كانت عاقبته إما القتل على يد الجلادين ، الذين كانت مشانقهم منصوبة بشكل دائم ، وإما السجن عدد سنين ، ثم الخروج بعد نجاته من الإعدام ، وهو شبه معوق من شدة ما لاقاه من عذابات السجن و قساوة السجانين.

والثالث – أحس بالخطر قبل المداهمة: فخرج من البلد يبحث عن مكان تحت الشمس ، ظنا منه أن الأمان في بلاد الغير متوافرا ، وأن سبل العيش متاحة ، ففوجيء بالغربة تعضه بنابها ، وتصيبه بصعابها ؛ فضاق بها ذرعا ، فتلبسته الشكوى وأخذ منه الحنين كل مأخذ ، فشكل ذلك لدنه هاجسا. وما أكثر هؤلاء! وما أكثر ما لاقوه من مصائب في مغتربهم أيضا!

والرابع – قيد مواقفه بقناعاته: ظنّ لأول الأمر أنه ناج من سكين الجلادين ، فدسّ رأسه في رمال المصيبة ، وكان عليه أن يتحمل تبعات المسألة ، وقد حمله النظام مسؤولية ما لم يفعل ، وقيّد حركاته وسكناته بسبعة عشر مركزا أمنيا ، وجميعها مخولة أن تقتاده إلى السجون ، وقد وقع في دائرة اتهامها ، ولم يفق إلا بعد أن فات الأوان ، فانضم إلى الرعيل الأول ، فخرج على النظام ، وكان أحد مشعلي فتيل الثورة يهتف وبقوة يريد اسقاط النظام. فكانت المواجهة ، وكان الخروج الكبير ، وكان ما كان من ضحايا تقدر بأكثر من

مليون ، ومن أضعاف أضعاف ذلك من المشردين الذين توزعوا في أقطار الأرض يبحثون عن وطن جديد ، وأضعافهم في مخيمات اللجوء التي تقدر بالآلاف ، ومن تغيير ديمغرافي طال بناها الاجتماعية الفوقية والتحتية ، ومن تكالب الإقليميين والدوليين عليها ؛ وهو تكالب ذكَر بالحديث الشريف "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها" وخلال هذه الرحلة الطويلة ، وقد زادت على الثلاثين سنة تنامى ما يسمى بـ (مفهوم الغربة) ، ومن واقع مفهوم الغربة تولدت الذكريات ، وقد كانت جميعها مؤلمة ، وقد زادت في معاناة الإنسان. ومن الذكريات تولد الحنين ، وما أقساه وأمره على النفس البشرية في هذه المهامه الصعبة! ولاسيما أن المعركة لم تنته بعد ، وأن المصائب لا زالت تستجد بما هو أدهى وأمر وأشد إيلاماً من كل ما ذكر. وما ذكر ليس بالقليل. وعند ظاهرتي الغربة و الحنين لا بد من وقفة.

أولاً – ظاهرة الغربة:

الغربة بأبسط معانيها ؛ أن يبتعد الإنسان عن بلاده إلى وطن غير وطنه ، وبيت غير بيته ، وإلى أهل غير أهله. وفي دائرة ذلك تتولد المشاعر الحزينة والقلقة ، ويكثر البوح ، وتثور الذكريات ، وقديماً قالوا: "تعرف معادن الرجال بحبها لأهلها وحنينها لأوطانها". وهذا القول معجميٌّ وقد تولد عن الغربة الحب للوطن والحنين للأهل.

و(ملحمة من مهاد الذكرى) هي السمة الثانية للملحمة. وقد كانت وسمت أولا بـ (ذكرتك). وقد مثَّلت بمجموعها خيطا من الذكريات لما ينقطع بعد. وقد كانت ماعوناً واسعاً للمشاعر التي كانت تستجد مع الأيام ، ومن ثم تتحول مع الجديد إلى وجدان وفكر وبصر وبصيرة ، ثم ترتقي لتكون نظراً مسدداً يرسم الطريق لأجيال الأبناء ، وهم يخوضون معارك العزة والكرامة. وهذا هو السر في ذيل (من مهاد الذكرى) بعد أن جد جديدها ، وبعد أن حصحصت الأيام عن واقع مر ، كما جاء في (الملحمة).

ثانياً – ظاهرة الحنين:

والحنين ظاهرة تلازم الغربة وتكون معها ، وهي التعبير عما يصحبها من خلج وجداني ، ومن بوح شاعري ، ومن آلام وآمال ومن غصص حياة ، ومن تعب ونصب ، سيما عند الإنسان وهو يعيش على أرض غير أرضه ، ويتدثر بدثار غير دثاره ، الأمر الذي يولد عنده من المعاناة ما لا طاقة له به. ومن رحم المعاناة ، تتولد العلاقات التي مبدؤها الحنين ، وعقباها العواطف والمشاعر. وليس أقوى من الحنين في مجال العلاقات ، وحيث تستجد المعاناة ، وتصبح أكثر خطراً ؛ سيما مع الذكرى التي تشكل المعين الذي لا

ينضب للمشاعر المصحوبة بالحنين ، وللمستجد الحديث ، الذي يجد نفسه أكثر قوة ؛ سواء من حيث النسيج العام ، أومن حيث حركة الحياة ، التي يعد الحنين ومعه الذكريات نسغها الذي تستجد به عادة ، ويكون معه العطاء والنماء ، وبشكل دائم.

ثانيا – المرحلة الثانية من الملحمة: وهي مرحلة ما بعد ٢٠١١/١/١٥م ولا تزيد على السنة والنصف ؛ إلا أنها تغطي أكثر من ثلث الملحمة ، وترصد أحداثها بموضوعية وتجرد. وقد استطاعت بموضوعيتها هذه – وبوقت مبكر – أن ترصد الممارسات الخاطئة التي قام بها بعضهم ، والتي كانت سببا في إضعاف الثورة وإفقارها وجعلها غنيمة للآخرين الذين كانوا يتربصون بها الدوائر منذ عامها الأول. ففي الاثنين وسبعين بيتاً التي جاءت بعد أن جدَّ جديدها ، وبعد أن شبَّ شباب منتمون ، وفتقت براعم كانت قبل في عالم الذر ، وبعد أن خرج شعب سورية شيباً وشباناً ، وهم يخوضون غمارها ضد النظام الطاغية ؛ بعد كل ذلك كان هنالك رصد وترصد لكلّ ما يجري على الساحة السورية ، و استقراء للوقائع وبحث وتنقيب ووقوف على أدق الدقائق وأعقد المشاكل ، وقد نتج عن هذا النظر ألم كبير وحزن عميق لما يجري في سورية – للثورة والثوار ولسورية الوطن – وقد أصابها ما أصابها من التآمر عليها ، ومن زلة الأقدام في رحابها على الطريقة التي أرادها لها خامنئي وبوتين ومعهما من معهما من الخونة والمأجورين. والأخطر من هؤلاء جميعاً ؛ ثلاثة:

الأول جاهل يعوزه الفهم والعلم: اندفع إلى الساحة غريزياً فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، ومن ثم تحوّل إلى ورقة بأيدي اللاعبين من دوليين وإقليميين. فكانت هذه المصيبة الأولى التي أصابت الثورة السورية في نسيجها العام ، ففتت في عضدها ، وأساءت لها ، وأحدثت في نسيجها الاجتماعي خرقا اتسع على الراقع وقد مثل بعدُ مدخلا لأعداء سورية ، ليضربوا من خلالها وحدتها الوطنية ، وليعبثوا بأمنها ، وليعملوا على تجزئتها ، على وفق ما أراده لها أصحاب المخطط الشرق أوسطي الجديد!

الثاني شخصاني أحمق: تابعاً أو متبوعاً ، ادعاها لنفسه أو لغيره ، فكان السبب الرئيس في كل ما حصل ، وقد تحولت الساحة السورية بسبب نشازه الشخصي إلى ساحة صراع بين الشخصانيين من أصحاب الولاءات والادعاءات ، والانتماءات والفتوَّات ومن جحر أولئك خرجت الحشرات القارضة ، التي قرضت نسيج الثورة ، وجعلته كلاً مهلهلاً. وقد كانت هذه ثانية المصائب التي أصابت الثورة ، وهلهلت من نسيجها.

الثالث خارق: و"خارق" من حيث اللغة مركب مزجي يجمع بين (خائن وسارق) وأكثر هؤلاء من عملاء النظام ومن المتعاونين معه ، أو من الذين وقعوا في شركه على أقل تقدير ؛ وقد دلّا معا على

معنى واحد. وقد فعلا معاً فعل الخارق المحرق من المقذوفات المدمرة ، وقد كان فيهما من حيث الواقع الخطر على الثورة ورجالها ، وقد كانا بمثابة الضربة في الظهر، وفيهما طباع الخونة والمتآمرين الذين تآمروا مع الطاغية ضد وطنهم ، وفيهما طباع القتلة والمجرمين ، وزيادة على ذلك: فيهما طباع اللصوص، وقد أرادا من الثورة أن تكون غنيمة قصد الإساءة لها ، فسارعا إلى مواطن القتال ، كجزء من مخطط مرسوم ، وكل همّهما السلب والنهب والاستحواذ على أموال الغير قصد إفقار المواطنين وإفساد أمرهم. وقد كانت هذه ثالثة المصائب التي أصابت الثورة في مقتلها.

وهؤلاء الثلاثة ، وقد لانعدم آخرين هم الذين أوصلوا الثورة إلى ما وصلت إليه من ضعف ، وهم الذين طمسوا معالمها ، وشوهوا معانيها ، وهم الذين فتوا في عضدها ، وأوصلوها إلى ماهي عليه الآن.

والنظر في القيم الشعورية والتعبيرية التي تحفل بها الملحمتان يمكن أن يشكل صورة واقعية لما جرى أو يجري على الساحة السورية. لانقول منذ ١٩٨٠م بل نؤكد أن ذلك لازم سورية منذ مطلع العصر الحديث وإلى اليوم.

المتوالية الموضوعية (الملحمة الاولى)

المتوالية الموضوعية ، (ملحمة) متوالية الأنفاس يشغلها هم واحد. وقد كتبت في أعقاب مأساة حماة سنة ١٩٨٢م ، وقد غلبت الموضوعية فيها على الفنية ، وقد كانت المشاعر جميعها في شغل شاغل ، بعد الدمار الذي أصاب حماه ، وبعد المصائب التي وقعت بأهلها ، وبعد الشتات الذي أصاب السوريين ، وقد أصبح كثير منهم لاجئا في بلاد الغير. وهي مأساة لما توفّ حقها إلى اليوم – لاسيما من قبل الذين أشعلوا فتيلها وعاشوا أحداثها يوما فيوما وساعة فساعة – والمتوالية الموضوعية هذه كتبت في بغداد سنة ١٩٨٢م. وما جاء فيها من أفكار مستنبط من واقع مأساة حمأة الذي عشناه يوماً فيوماً وساعة فساعة ، والذي لما يزل بعد يعيش في داخلنا مشاعر غاضبة. وأذكر ولا أنسى أن أحدنا – وقد كنا نعد العدة للمواجهة الشاملة مع النظام ، ومن خلال حملة عسكرية قصد الرد على مجازر حماة ، وعلى سياسات النظام – كان أكثرنا فرحا ، وقد كان من أفراد الحملة إلا أنه ما إن سمع بتوقف الحملة حتى دخل في دائرة من الغضب لم يخرج منها ، فدفناه في بغداد في مقبرة أبي حنيفة رحمه الله. وقد أصبحنا بعد ماحصل في حماة ننوس في دائرات ثلاث. الدائرة الأولى: دائرة الشباب ، وهؤلاء أكثرهم كان غاضبا لعدم مسير الحملة ، بل ويحمل القيادة مسؤولية عدم مسيرها. و الدائرة الثانية: دائرة القيادة ، ولانعدم آخرين معهم وهؤلاء يعتقدون أن

الحشد فيه خلل وعدم تكافؤ فالنظام يسيطر على قوات مسلحة تقدر بربع مليون مقاتل ولا يمكن للألف والألفين من المقاتلين أن يواجهوا هذه القوات. وكان مما قالوه و بالحرف الواحد: "إن العدو يريد أن يصنع منكم كربلاء ثانية". وهذا الكلام صحيح مئة بالمئة . والدائرة الثالثة: دائرة أصحاب الرأي من المثقفين وممن لديهم خبرة ، وهؤلاء كانوا يرون أن الخطأ في أصل المنهج إذ أن العمل الثوري يحتاج إلى نظرية ثورية وإلى قيادة وإلى فكر ثوري يخطط إستراتيجيا لمعركة شاملة بعقلية الخبير والمفكر . وهذا باختصار ما لم يتوافر لنا! لقد جاءني بعد المجزرة بعض الشباب من الحمويين – وقد كانوا ذاهلين مما حدث – وسألوني عن أسباب المجزرة؟ فقلت لهم باختصار: (الذي دك الجفت هو الذي فجره) وأقصد: (أنَّ الأمور أوكلت لغير أهلها)!!!

وما جرى في سورية منذ ١٩٨٢م وحتى اليوم ، مرورا بـ ٢٠١١م هو بعض من ذلك المصاب ، الذي أدمى ، ولا يزال يدمي القلوب جميعاً. وقد ظلت جرثومته موجودة في أوساطنا ، وظلت تتمحور وتتطور إلى أيامنا هذه وهي تحافظ على نفس الخصائص والصفات ، دون أن تجد من يعمل على التخلص منها ولو بأضعف الإيمان! وظل القيّمون عليها يتباهون بمنجزاتهم وكأنهم هم الذين هزموا غورو في ميسلون!!!

(١) المَآلُ الحَزين

يـــا للشـــموسِ كأَنَّهـــا لم تُشْـــرقِ
والبـــدرُ لم يـــألقْ بليـــل غاســـقِ
والـــوردُ لم ينبُـــتْ علـــى تلـــك الـــرُبى
أبـــداً ولم يَنْشُـــر شـــذاهُ بخـــافِقِ
والرَبْـــعُ لم يـــأنَسْ بأصـــحابِ الحَجـــا
يومـــاً ولم يُكْـــرَمْ بهمـــةِ صـــادقِ
والســـاحُ لم يحفَـــلْ بأجْنـــادِ الهُـــدى
وكأنَـــهُ ســـاحٌ للـــصِّ ســـارقِ
غـــبرتْ سُـــنُوِّ المكرمـــاتِ فهـــل تـــرى
أثـــراً لعـــيشِ مكـــارمٍ مُتَسَـــاوقِ
تبكـــي المكـــارِمُ عِزَّهـــا في مَهْـــدِها
ذلَّـــتْ وحَطَّـــتْ غِيلـــةً عـــن شـــاهِقِ

فـــإذا الرُبُـــوعُ كأنَّهـــا رُبَـــعُ الهـــوى

للجـــارمينَ وكُـــلِّ وغْـــدٍ فاسِـــقِ

وفلـــذَّةُ الكَبِـــدِ الـــتي كانـــتْ إلى

تقـــوى تُقـــادُ وكُـــلِّ حَـــبْرٍ حـــاذقِ

أضـــحَتْ تُقـــادُ إلى مَـــوَاطِنِ قَتْلِهـــا

ودَمارِهـــا بيـــدِ الـــزَنيمِ المـــارِقِ

(٢) الشُّعورُ الحَزين

نَقِّـــلْ حَنَانَيْـــكَ الخيـــالَ لعلَّـــهُ
يَقْفُـــو إذا مـــا اسْـــطَاعَ ضـــوءَ يقـــينِ
فلقـــد غـــدا الملمُـــوسُ أبْعَـــدَ والهـــوى
جَـــرْحٌ بقلـــبِ مُعَـــذّبٍ مِسْـــكينِ
قـــد صـــارَ أعْمَـــقَ والشـــعورُ كأنَّـــهُ
رَجْـــعٌ لِعُمْـــقِ تـــأوْهٍ وأنـــينِ
هـــو في انْفِعَـــالٍ حيثُمـــا ذهبـــتْ بـــه
ريـــحُ الصَّـــبا أو غالبـــتْ بِحَنـــينِ
ذكـــرى تُـــؤرّقُ جَفْنَـــهُ ولعلَّهـــا
فُـــرْطُ التوجُـــعِ ذاتُـــهُ والهُـــونِ
فـــإذا وقفـــتَ بـــه عشـــيَّةَ طَعْنِـــهِ
فَـــارأفْ لِحالـــةِ صَـــاحبٍ مَطْعُـــونِ

وَالمِـسْ بِرُفْـقٍ مـا اسـتطعتَ جِراحَـهُ

ولعـــلَّ ذاكَ العَـــودُ لِلْمَحْـــزونِ

أرفِـــقْ ولا تَبْخَـــلْ بِبسْـــمَةِ عائـــدٍ

وبرقِّـــــة المِـــــأمونِ للمَـــــأمونِ

وانْظُـــرْ بِعُمْـــقٍ في قَضـــيِّةِ جـــارِمٍ

زرعَ الشَّـــجى في مَلْحَمـــاتِ جُنـــونِ

قـــد صَـــاغَها في هِمِّـــةٍ وَحشِـــيِّةٍ

وعزيمـــــةِ المسْتَأسـَــــدِ المـــــأفونِ

فـــإذا بهـــا تـــأتي علـــى وَطـــنٍ لنـــا

فتُحيلُـــهُ دِمنـــاً لـــذاتِ شُـــجُونِ

(٣) الوَاقِعُ الحَزين

يـا صَـاحبي يـا مَـنْ يُنـاجي حَـائراً
رفقـــاً بِمحمـــومِ المشَـــاعِرِ مُلْهَـــب
رِفقـــاً بِمَـــنْ رَقّـــتْ مشـــاعِرُهُ ومـــا
بَعُـــدتْ مَرامِيـــهِ ومَرْمَـــى صَـــاحبِ
أَحْرقـــتَ قلبـــاً ذابَ مِـــنْ تَحْنانِـــهِ
هُـــوَ غِيْـــرَ نَهْـــجِ إخائِـــهِ لا يَحْتَـــبي
إنْ أنَّ إخـــــوانٌ لـــــه أو أُولِمـــــوا
فـــأنينُهُمْ وقـــعُ الأســـى المتَحَـــرّبِ
هـــو مِديَـــةٌ في القلـــبِ تَفْـــري دَرُّهـــا
والجَـرْحُ يَرْعـفُ مـن خَصـيمٍ مُرعِـبِ
ولعـــلَّ رمـــزَ إخائِـــهِ أنْ نبضُـــهُ
رَجْـــعٌ لنـــبضِ مُـــرَوّعٍ ومُعَـــذَّب

ويَقِينُـــــهُ أنّ الحيـــــاةَ مَكـــــارِمٌ

تُغْشـــى بكُـــلِّ محبّـــبٍ ومُقَـــرِّبِ

ومَحَجّـــةٍ بيضـــاءَ يَـــألَقُ نُورُهـــا

فِي الليـــلِ طـــرّاً رُغْـــمَ أنْـــفِ المغْـــرِبِ

والمسْـــلمونَ جَمـــيعُهم أهـــلٌ لـــه

إنْ شِـــــئْتَ سَمِّهِـــــمُ لأمٍّ أو أبِ

لا فـــرقَ بيـــنهمُ فكلُّهُـــمُ ســـوا

سِـــيَةٌ فـــأعجمُ كالفَصـــيح المعْـــرِبِ

(٤) الاعتذار الأول

يـا صـاحبي عُـذري حَيالَـكَ واضِـحٌ
أنـا لسـتُ صـاحِبَ خِطَّـةٍ وقـرارِ
إن جـاسَ أعـدانا خِـلال معـالِمٍ
أو أوْغَلـوا في حَاضـرِ الأطْهـارِ
أو هَتَّكـوا حُرُمـاتِ أخـواتٍ لنـا
أو أثْخَنـوا في مَعْشَـري الأبْـرارِ
أو هَـدّموا حُجَـراً تَـألَّقُ بالهـدى
واسْتَنْسـروا في السـاحِ كـالغوارِ
أو قِيـلَ دَكّـوا في الـبلادِ معالِمـاً
أو لطَّخـوا أقداسَـها.. بالعـارِ
والقـومُ عـنْهُم عُـزّلٌ في معـزِلٍ
عـن ردّ عاديـةٍ وكـبحِ سُـعَارِ

والصَّـــحبُ منَّـــا في مَهَامِـــهِ مِحْنـــةٍ

قـــد حِيـــلَ بيـــنَهُم وبـــينَ الـــدارِ

قـــد حـــالً بيـــنهُمُ الأمـــيرُ وجـــارَ في

عُدوانِـــهِ جَـــوْرَ الأثـــيمِ الضـــاري

فَتَفَرَّقُـــوا مِـــنْ يـــومِ ذاكَ وَصَـــابَهم

مـــا صـــابَهُم مِـــنْ هـــذه الأضـــرارِ

(٥) الاعتذار الثاني

أنـــا شـــاعِرٌ والشِّـــعْرُ لـــيسَ خَريطـــةً
فيهـــا تُحَمَّـــلُ خِطّـــةُ المِسْـــؤولِ

تَحْلـــو المهـــامَ لِكُـــلِّ ذي مَرْكوبـــةٍ
عَـــنْ فِعْـــلِ مَطْلـــوبٍ وعـــنْ مَـــأمولِ

فالشِّـــعْر بَهْـــوٌ قـــد يُطِـــلُّ علـــى دُنـــا
لكـــنْ بإحســـاسٍ وخِصْـــبِ عقـــولِ

فـــإذا أطَـــلَّ فـــلا تُلِمْـــهُ إن وعـــى
أوقـــالَ قَوْلـــةَ نابِـــه مَجْبـــولِ

فَلِفُـــرْطِ حِـــسٍّ قـــد يَشُـــفُّ حَقيقـــةً
تُنْـــبي وقـــد يَـــروي حِكايـــةَ جِيـــلِ

أو قـــد يُبِـــينُ مِـــنَ الطَّريـــقِ مَعالمـــاً
هِـــيَ دَرْبُ كُـــلِّ موفّـــقٍ معقـــولِ

فـــإذا وقفـــتَ علـــى رســـومِ قَصـــيدةٍ

فَـــــانْظُرْ مَعَـــــا لِمَ دارسٍ مَجْهـــــولِ

فَلَـــرُبَّ غَـــرَّاءَ القَصـــيدِ تَلُـــوحُ في

عُـــتَمِ الـــدُجى بالموِسِـــرِ المقبـــولِ

(٦) الاعتذار الثالث

أنـــا شَـــاعرٌ والشِّـــعْرُ لـــيسَ برَامجـــاً
للدارِســـــينَ وكَـــــادِرِ التَّـــــدْريبِ
يجلـــو المهـــامَ لـــدارسٍ ومُـــدَّرِسٍ
للـــــدرسِ أو للبَحْـــــثِ والتَنْقِيـــــبِ
لكنِّـــــهُ طَلْـــــعٌ تَـــــألَّقَ نُسْـــــغُهُ
يزهـــو بِلَحْـــنٍ في الحيـــاةِ رَتيـــبِ
فـــإذا سَمِعْـــتَ فَسَـــائغٌ مُسْتَرْسَـــلٌ
ومُنَضّـــدٌ خَلْـــوٌ مِـــنَ التَثْرِيـــبِ
وإذا عَقَلْـــتَ فَمُلْهَـــمٌ يَجْلـــو الحَقِيقـــةَ
مُولَـــــعٌ بـــــالفهمِ وَالتَصْـــــويبِ
حِـــسٌّ يَكـــادُ الكـــونُ يَلْهَـــجُ أنَّـــهُ
قَـــبَسٌ مـــن الإلهـــامِ جِـــدُّ مُصـــيبِ

(٧) الاعتذار الرابع

أنـــا شَـــاعِرٌ والشِّـــعرُ لـــيسَ مَنَاهِجـــاً

مُتَكـــــامِلاً فيهـــــا بيـــــانُ الأُمّـــــةْ

لكنَّـــــني حِـــــسٌّ أُبـــــينُ مَخَـــــاطِراً

قـــد تُوجُـــبُ اليَقَظَـــانَ عـــالي الهِمَّـــةْ

أو أُظْهِـــرَ الخطـــرَ الرهيـــبَ بِصـــيحةٍ

فتكـــــونُ دعواهـــــا لأكـــــرمِ لَمَّـــــةْ

أو أنْ يكـــــونَ أميرُهـــــا و مُشـــــيرُها

هـــو ذلـــك الفـــاني عَـــريضُ الذِّمّـــةْ

(٨) الشِّعْرُ إحْساسٌ

أنـــا شَـــاعِرٌ والشِّـــعْرُ يبـــدو مُلْهَمـــاً
ببيـــــانِ قَـــــدْرٍ أو بِضَـــــوءِ يَقـــــينِ
مـــادامَ حِسَّـــاً قـــد أحَـــسَّ بمـــا يـــرى
فـــــأزاحَ سِـــــتْرَ مُقَصِّـــــرٍ مَجْنـــــونِ
عَـــرَّى المِخَـــازيَ تـــارةً وأبـــانَ في
وضَـــحِ النَّهـــارِ فَضَـــائِحَ المـــأفونِ
ولِتَـــــارةٍ أُخـــــرى تـــــراهُ مُؤَذّنـــــاً
في النـــاسِ يَـــدْعو لانتصـــارِ أمـــينِ
ولـــذاكَ إن أرخَـــوْا عَلَيْـــهِ سَـــتَائرا
أو عَـــــامَلُوا بـــــالغَبْنِ والتَّقْنِـــــين

(٩) الشعرُ إلهَامٌ

أنـــا شَـــاعرٌ هَـــاكَ الأحَاســـيسَ الـــتي

لِلْوَهْلَـــةِ الأُولى الغَـــداةَ أُحِسَّـــتِ

أَنَّى أُلَفَّـــــتُ لا أَرى مُسْتَحْسَـــــنا

أو وَاضِـحاً قـد شَـعَّ عَبْـرَ الظُّلْمَـةِ

أو قَيِّمـــاً... فيـــه انْتِبَـــاهُ مُفَكّـــرٍ

لِوَقِيعَـــةٍ مِـــنْ مُجـــرمٍ وخَدِيعـــةِ

أو محكمـــاً فيـــهِ البنـــاءُ لأمّـــةٍ

باتـــت تنـــادي يالجنـــدِ الأمَّـــةِ

أو مُتْقَنـاً قـد أحْسَـنَ الصُـنْعَ الـذي

في طوقِـــهِ وَسْـــعٌ لِنَبْـــذِ الفرقـــةِ

ويكـــادُ حِسِّـــي أن يعبِّـــرَ هَكـــذا

عَـــنْ عـــارِضٍ عَرَضـــاً يَتِيـــهُ بِفِعْلِـــةِ

وإذا نظَـــرتَ إلى سُـــلوكِ مُعَلِّـــم

أمسَـيْتَ تُمْقَـتُ مـن شِـجارِ الإخـوةِ

وكَـــذاكَ كُـــلُّ مُعَسْـــكَرٍ... مُتَنـــافِرٍ

أو مُبْعَـدٍ عـن كُـلِّ إحكـامٍ فَـتي

فَالعَـدْلُ يـأنَسُ بالسُّـعاةِ إلى تُقَـى

بِحَصَـافة التَّقْـوى وعُمْـقِ الحِنكـةِ

بالســـعي يبـــدو دائبـــاً مُتَســـاوقاً

مُتَســـابقاً كرمـــاً بأنبَـــلِ شـــيمةِ

والصـبحُ إن سُـئِلَ الأنـامُ فلـم يكُـنْ

مِيقاتُـــــهُ إلَّا بنبـــــلِ الصـــــحبَةِ

فهـــو الوجـــاءُ لعـــالِمٍ ومُفَكِـــرٍ

وهـــو الطريـــقُ إلى صَـــعودِ القمَّـــةِ

(١٠) صدق أخي

صَـدِّقْ أخـي في اللهِ صَـدِّقْ صَـاحبي
أنَّ اللئـــيمَ اصـــطادَنا بالفـــاسِ
قـد شَـقَّ ظـاهِرَ صَـفِّنا في هَجْعَـةٍ
مِـــنْ مَعْشَـــري وبغيبـــةِ الحُـــرَّاسِ
نَفَـــثَ السُّـــمومَ بحوضِـــنا ثُمَّ انْـــبَرى
يَسْـقي بنينـا الغُـرِّ أقْتَـلَ كـاسِ
وأصـابَ بيضَـتَنا فكانـتْ حاضِـراً
يـروي علـى مَـرِّ الزمـانِ مآسـي
تَرَكُـوهُ غَمْـراً قـد تغَمَّـرَ بالأسـى
غَرِقـاً بِلُجَّيْـهِ لِأَقْصـى الـراسِ
تَعْتَامُـهُ ذِكْـرى تَمُـورُ بِسـاحِهِ
وَقَتَامَـةٌ مَحْروقَـةُ الأنْفـاسِ

وَلَعَلَّـــهُ أضْـــحى كَـــبَعْضِ مَعـــالِمٍ

تَـــرْوي البطولَـــةَ عَـــنْ خِيـــارِ النـــاسِ

هِـــيَ كَـــالطُّلولِ اليـــومَ تَبْكـــي أَهْلَهـــا

الأبـــرارَ إخـــوانَ التُّقـــى والبـــاسِ

عُمَّارَهـــا إبـــانَ كانـــتْ.. مَعْقِـــلاً

لم يُخْشِـــهِمْ ظـــرفٌ بليـــلٍ قـــاسِ

أبـــداً ولا الأعْـــدا وقـــد جَمَعُـــوا لَهُـــمْ

مِـــنْ فَـــارِسٍ أو حَـــارِسٍ خَنَّـــاسِ

خَطُّـــوا مَـــعَ البَـــاغي مَلاحِـــمَ إخـــوةٍ

هـــيَ للنِّضـــالِ اليـــومَ كـــالنِّبراسِ

(١١) ذَكَرْتُكَ في ماضٍ

يـا رَبْـعَ أنْـدَلُسٍ ذَكَرْتُـكَ شـاجِياً الُملْـكَ والأيّـامَ يـألَقُ حَانيـا
ومَرابِـعَ العُمَّـارِ طُهـراً زاكيـا والقـومَ أغنـاهُمْ تُقـى وسَوَاسـيا
خَفُّـوا إلى سَـاحٍ تَـألّقَ زاهيـا بِالَمكْرُمـاتِ وقـد عَهِـدْنَ تآخيـا

فَأَذَبْـتُ في صَـحْنِ الأسـى تَحْنَـاني

وَذَكْرتُ (هُولاكـو) وجُنْداً مُعْتَدي قد دَاسَ أطْهاري وحُرْمَةَ مَسْجدي
أدْمَـى بِـهِ قَلـبي ولم يَتَـرَدَّدِ عَـنْ قَتْـلِ كُـلِّ مُكَـرَّمٍ ومُحَمّـدِ
ومُعَـزَّزٍ ومُبَجَّـلٍ ومُسَـوَّدِ بـل هَـدْمِ كُـلِّ مُقَـدَّسٍ ومُمجَّـدِ

قـد كـانَ يَزْهُـو بالنَّـدى الرَّيَّـانِ

وَوَقَفْـتُ وِقْفـةَ خاشِـعٍ مُسْـتعبِرِ مُتَبَصِّـرٍ فِيمـا جَـرى ومُفَكِّـرِ
ومُعَلّـلٍ أسْـبَابَهُ.. ومُقَـدِّرِ مـا كـانَ مِـنْ أَمْـرٍ مَـرِيجٍ مُحْضَـرِ
في زِي حُكَّـامٍ وَهَيْئَـةِ عَسْـكَرِ عـاثوا فَسـاداً واستَقَوْا مِـنْ مُسْـكِرِ

في حَاضِـرٍ أضْـحى السَّـقيمَ العَـاني

قَامَـــتْ لإسْـــرَائيلَ فيـــهِ دَوْلـــةٌ وَنَمَـــتْ غِـــراسٌ للغـــزاةِ وشَـــوكةٌ
في ســـاحنا، لم نُخْشِـــها ثوريّـــةٌ أو يُخْشِـــها جنْـــدٌ هنـــاكَ وقُـــوَّةٌ
أو وِقفـــةٌ تُرجـــى الغـــداةَ ونَهضـــةٌ إذ أن أرضـــي مَزَّقَتْهـــا فِرقـــةٌ

وزهـــى الأثـــيمُ بِزِيِّـــهِ العِلمـــاني

لم يُخْشِـــهِ بَـــئْسَ المصِـــيرُ يَهُمُّـــهُ أو يَسْـــتَحي إن شـــاءَ فينـــا فِعْلُـــهُ
حـــتى بـــدا وَسْـــطَ الحِمـــى وَلَعَلَّـــهُ نَفْـــسُ الغريـــبِ ورُمْحُـــهُ أو سَـــهْمُهُ
فلقـــد تَغَشّـــاني الظَّلُـــومُ وظُلْمُـــهُ وذَكَرْتُ "قاضي الفَرْدِ حَيْثُ كأنَّهُ

قاضـــي الغُـــزَاةِ الفـــارِسُ السُّكْسُـــوني

يَسْعَى وَقَدْ نَكِرَ الأصَالَةَ في السَّعي مُتَبَرِّجـــاً مُـــتَحَلِّلاً قَـــطْ لا يَعِـــي
مـــا قـــد يَقُـــولُ كَـــأيّ مَخْمـــورٍ دَعِـــي أمثالُـــهُ كُثُـــرٌ بـــلا أيّ وَعـــي
هُـــمْ سَـــطْوَةُ الجـــاني وخـــلّانُ الشَّـــقي فَمَحَـــاكِمُ التَفْتِـــيشِ قاضِـــيها البَغِـــي

في كُـــلِّ حـــينٍ بـــلْ وكُـــلِّ مكـــانِ

لم يُعْـــفِ أيتامـــاً ولمْ يَتْـــرُكْ لَهُـــمْ أبـــداً مُعـــيلاً أو يُواســـي جـــرحَهُمْ
أو يَمْتَنِـــعْ عـــنهُمْ ويَمْسَـــحْ بؤسَـــهُمْ فهـــو الأثـــيمُ فكـــمْ رمـــى إيـــذاءهُمْ

والمسـلمونَ هُـمُ الجنـاةُ فَحُكْمُهُـمْ القتـلُ والتشـريدُ عـن أرضٍ لهـمْ

سِـــيّان عـــدلٌ قـــائم أو جـــان

فُطُروا على حُبِّ الفِدا منذُ الأُولى وأمـيرُهُمْ بِفُـؤادِهِ النـارَ اصـطلى
عاشُـوا بهـا لم يُحْسِـنوا فيهـا الفِـدا وأَضَـرَّهُم، مـن قـد تَسَـدَّرَ أو عـلا
مـا بـينَ نِـيرانٍ وقـد شَـهِدَ المِـلا وخُصُـومُهُمْ غُـرْبٌ وإن نسـبوا إلى

قحطـــانَ أو نُسِـــبوا إلى عـــدنانِ

ولعـلَّ مَـنْ يقـرأْ تآريخـاً لنـا ويَعِـيش بـين المتْعَبـينَ أولي العنـا
ويَرْى المخَازيَ كيف يَشَهَدُ ساحُنا ويشـاهِدُ النَّـذْلَ الأخَـسَّ مُمَكّنـا
مُسْـتَهْتِراً قـد شَـقَّ بَيْضَـةَ صَـفِّنا بل كيفَ صَارَ القومُ أشتاتاً هُنا

يُـــدْرِكْ حقيقـــةَ كَـــرَّةِ العُـــدوانِ

فـالأمْرُ يَبْـدو في المخَـاضِ الأضْـيَقِ يَـزْوَرُّ في حَمَـأ وقـد لاذَ التَّقـي
في مَهْمَـهٍ يَبْغِـي النَّجـاةَ ويتَّقـي بِحِقَافِهـا مِـنْ كُـلِّ مُـزوَرٍّ شـقي
سَـيَّانَ ذلـكَ مَغْـربي أو مَشْـرقي إذْ أنَّ تـاريخَ المآسـي يَلتَقـي

فَجَمِيعُهـا مِـنْ مَنْشَـأٍ شَـيْطاني

(١٢) ذَكَرْتُكَ في مَاض
– ثانيا

إنّي ذَكَرْتُـــك إذ لَمَحْـــتُ السَـــهْرةْ
عُريانـــةً فيهـــا تَبـــوحُ الخَمْـــرةْ
وتُـــرى تَميـــلُ مـــع الكـــؤوسِ الشَّـــقْرا
مَحْروقـــــــةً في آذوبِ الأنْفـــــــاس
ولَمَحْـــتُ سَـــيّدَها يُـــداعِبُ شـــاربْ
والقـــومُ بـــين مُباعِـــدٍ ومُقَـــاربْ
مِـــنْ كُـــلِّ عانســـةٍ وأُخْـــرى كاعِـــبْ
في مُعْلَـــــنٍ وبعُهْـــــدَةِ الحـــــرَّاس
ورَأَيْـــتُ كُـــلَّ مُغَلْمَـــنٍ سَكْسُـــوني
بـــالِظِرفِ يَحْكـــي مَيْعَـــةَ السَّـــكرَان
ولهـــــاً يتيـــــهُ بِطَرَفِـــــهِ الوَسْـــــنانِ
فَيَهِـــيمُ فيـــه واجـــدٌ ذو بـــاس

ونَظَـرْتُ أُخـرى في مَجَـالِسِ قُرْطُبُـةْ

فـإذا العَصَـا تَهْـوِي وَدَعْـوَى غاضِـبَةْ

عُمِّيَّـــــةٌ عَصَـــــبِيَّةٌ مُتَكَالِبَـــــهْ

فيهـــا الهَـــوَى آذتْ جميـــعَ النـــاس

وأشَـحْتُ شَـرْقاً حيـث سـاحُ الأمّـةْ

فـــإذا النِّخـــاسُ عَرائســـاً مُلتمّـــةْ

تُشْـــرى لِكُـــلِّ مُتَـــوَّجٍ ذي هِمَّـــةْ

ومُدلّـــهٍ يغفـــو بظـــلِّ الكـــاسِ

وإذا الأنـــــامُ كأنَّهـــــا مَحْشُـــــورةْ

في ســـــاحَةٍ عُمّيَّـــــةٌ مخمـــــورةْ

صَـخَباً تَتِيـهُ ومـا وَعَـتْ مَقْـدُورا

مـــا بـــينَ فَكَـــيْ حاقِـــدٍ خَنّـــاس

وَبَحَثْـتُ عـن قَصْـرِ الخليفـةِ مُتْعَبـا

وَظَنَنْـتُ أنَّـهُ قـد مَضَـى في كَوْكَبـةْ

إنْ لم يَكُـنْ قـد قـادَ جَيْشـاً ضَـارِباً
لِيُوَاجِـــهَ الأعـــدا بِشِـــدَّةِ بـــاسِ
فـــإذا بـــهِ فِي حُجْـــرَةٍ مَـــذْوِيَّاً
يُـــؤْتى الطَّعـــامَ لِبُكـــرةٍ وعَشِـــيَّةْ
قَـــطْ لا تُحَـــالُ لـــه شُـــؤونُ رَعيّـــةْ
فـــالحُكْمُ بـــينَ مخالـــبِ الحُـــرَّاسِ
فَعَلِمْـــتُ أنَّ القـــومَ لمِـــا ســـاؤا
شُـــغِفُوا بـــأربُعَ سَـــادتِ الجَهْـــلاءُ
واسْتَأسَـــرَتْهُمْ خَمْـــرةٌ سَـــوداءُ
هـــي ظِـــلٌّ مـــا في النـــاسِ مـــن أرجـــاسِ
وسَـــألتُ أيـــنَ القـــومُ أهـــلُ الشُّـــورى
أهـــلُ العَـــزَائِمِ والحَجَـــا المِشْـــهُورةْ
فـــإذا بهـــا وكَغَيْرِهـــا مأســـورةْ
في ظِـــلِّ عَـــرْشٍ ظـــاهِرِ الإفـــلاسِ

وغَـــدَوْتُ أنْـــبُشُ في رُكَامَـــةِ حاضِـــر

قـــد كـــانَ قـــبلاً كالريـــاضِ الزاهِـــرِ

ســـاحاً لِفَـــيْضِ مَكَـــارِمٍ ومَـــآثِرِ

وشَـــــذى لِنُعمـــــانٍ وآخـــــرَآسِ

فـــإذا بهـــا نَفْـــسُ المِصَـــائبِ جَمَّـــةْ

نَفْـــسُ الكُـــؤوسِ ونَفْـــسُ ذاتِ الهِمَّـــةْ

الفـــارسُ السِـــرْحانُ داسَ العِمّـــةْ

ومَضَـــى مـــع الهِبِيـــزِ أَشْـــأمِ نـــاس

(١٣) وغَدَوْتُ أسْألُ

وغَـدَوْتْ أسـألُ عـنْ لِبـانِ الفـارِس
فـــإذا بِـــهِ ابنـــاً لِأُمٍّ مُـــوْمِسْ
قـد أبْضَـعَتْ مـن غـادِرٍ عُـدواني
إبّـــانَ حَـــطّ بظـــاهِرِ الشَّـــطآن
لم يتّخِـــذْ بـــينَ الخَلِيقـــةِ.. مَنْـــزلاً
إلّا وأفْسَـــدَ بعـــدُ ذاكَ المَنْـــزِلَ
فَعَجِبْـتُ كيـفَ اسْـطاعَ عَبْـرَ الأُمّـهْ
أنْ يُـوتِرَ القـوسَ ويَرْمـي سَـهْمَهُ
والقَـــومُ أهـــلُ ثَقَافـــةٍ وَنَبَاهـــةْ
فِـيْهِمْ وفِـيْهِمْ جُـدُّ أَهْـلُ وَجَاهـةْ
ولَهُـــمْ خُيـــولٌ للـــوغى مَرْكُوبَـــةْ
ومَـــدَافِعٌ فـــوقَ الـــذُّرى مَنْصـــوبةْ

فَلَقَــدْ مَضَــوْا قِــدماً بِــردِّ العــادي

وحَمُــوا السَّــوادَ وجلّقــاً والــوادي

لم يـــــــألَفُوا ذلّاً ولم يَرْضَـــــــوْهُ

والمســـــــتبدُّ بســـــــيفِهِم أردَوْهُ

وسَــألتُ حَــبراً حاذقــاً وأريبــا

فَقِــهَ الحيــاةَ عجيبــةً وغريبــةْ

عــنْ ذلــكَ المِـدْعُو "الأمـينِ القَـوْمي"

المِسْــتَجِّمِ علــى جَمَــاحمِ قــومي

فأجــابَ أن الأمْــرَ يبــدو أَكْبَــرْ

فلــه يُخَطَّــطُ خارجــاً ويُــدَبّر

فالخَصْــمُ يَعْتَــبِرُ الــبلادَ جَميعــا

وشــعوبَها لا تعــرِفُ الترقيعــا

إذ أنَّهــا لا بُــدَّ يومــاً تثــأرْ

أو تلتقــي في الســاحِ رُغْــمَ الأغــبرْ

ولِـذاكَ خَـصَّ المسْـلمينَ خُصُوصـا

مُتَفـــرِّداً في حُكْمِـــهِ مَنْصُوصـــا

بِضَـــرُورةِ الـــذَّوبانِ والتَّمييـــعِ

والقَتْـــلِ والإجْهـــاضِ والتَّضْـــييعِ

كَـيلا تقـومَ لَهُـمْ بـأرضٍ قائِمـةْ

تَـأبى التَّخَلُّـفَ أو حيـاةَ السَّـائمةْ

وكحـاذقٍ خَبَـرَ الحيـاةَ فنونـاً

فَقِـهَ الفنـونَ وأتْقَـنَ القـانون

فاختـارَ صِـلاً أغـبراً وشُـجاعاً

وسَـاقطينَ وهُمّـلاً أتباعـاً

في كُـلِّ أمـرٍ بـل وكُـلِّ مُهِمّـةْ

فَتَخَرَّجـوا تِبَعـاً كأشـأمِ أُمّـةْ

إذ ذاكَ أدْرَكْنـا بـأنَّ المشْـرَبْ

قـد كـانَ مِـنْ فَـمِ حاقِـدٍ كـالعقربْ

(١٤) النَّجْوَى الحَزِينة

كنَّا معا

يـــا صَـــاحِبي مـــاذا أقـــولُ وأنْـــتَ

ذاتَ المِـــــــرامِ إذا أرُومُ رَمَيْـــــــتَ

مـــا خِلـــتُ أنَّـــكَ في المِـــرامِ نَأيـــتَ

أو أنَّ هَمِـــي عنـــكَ قـــد أبْعَـــدْتَ

فَلَقَـــد مَعـــاً ثُرْنـــا نُحَـــرِّرُ.. بَيْتـــا

مِـــنْ غَـــادِرٍ مُتـــآمِرٍ.. عُـــدواني

وَمَعـــاً شَـــرِبْنا مِـــنْ ثُمَالـــةِ كـــاسِ

ذُقْنـــا اللَظَـــى ومَـــرَارةً ومَآســـي

حـــتى كأنّـــا واحِـــدٌ في النَّـــاس

يَرْمُونَنـــا و بِكُـــلِّ صَـــعْبٍ قـــاسٍ

ورَحَـــى تَـــدُورُ بِكاهِـــلٍ والـــرَّاس

كُنّـــا لهـــا في الســـاحِ كالسَّـــنَدَانِ

كُنَّـــا ولا زِلْنـــا بِأنْبَـــلِ شِـــيْمَةْ

نَعْنُـــو بِكـــلِّ شَـــجَاعةٍ وعَزِيْمَـــةْ

لِمَـــآبِ جِيـــلِ تَقَـــدُمٍ ذِي قِيْمَـــةْ

قَـــطْ لا يَلَـــذُّ العَـــيشَ عَـــيشَ بَهِيْمَـــةْ

والقَـــوْمُ بَـــينَ سُـــيُوبةٍ وخُصُـــومةْ

قـــد أوغَلُـــوا في الـــزُّورِ والبُهْتَـــانِ

كُنَّـــا معـــاً نَبْغـــي التَّقَـــدُّمَ أَجْمَعـــا

والعِـــزَّةَ الغَلبـــاءَ أنْ تَتَضَعْضَـــعا

ومعـــاً رفَضْـــنا عَـــيشَ ذُلٍّ أوضَـــعَةْ

أو أنْ نُـــوَافَ في الحيَـــاةِ المصْـــرَعا

ونَبِيـــدُ، أو نَغْـــدُو العَبيـــدَ الخُشَّـــعا

في خِدْمَـــةِ النَّـــذْلِ الأخَـــسِّ الجَـــاني

مـــاذا عَلـــيَّ إذا الغَـــدَاةَ التَمّـــتِ

مِحَـــنٌ وأُتْرِعَـــتِ الكـــؤُوسُ وجُمَّـــتِ

وبَـــدا كَـــأنَّ النَّـــازلاتِ التَمّـــتِ

مِـــنْ حَولنـــا أو أنّهـــا قـــد هَمَّـــتِ

والصَّـــارِمُ البتّـــارُ قَبْـــلَ وَقِيعَـــةِ

لم يُمْتَشَـــقْ لملاحـــمِ الإخـــوان

إنّي أُحَـــذِّرُ خِشْـــيَةً مِـــنْ واقِـــعْ

حَـذَراً مِـنَ الـذِّئْبِ الأصَـلِّ الجَـائِعْ

أنْ يَنْتَحـــي بـــأخي وقَيـــدي مُوجِـــعْ

وذَخِـــيرتي بِيَـــدِ الأذَلِّ الخَـــانِع

الآبِـــقِ المـــأفُونِ ، بـــل والخَاضِـــعْ

لـــ (الأجنـــبي) الحَاقِـــدِ العُـــدْواني

(١٥) ماذا عَلَيَّ

مـــاذا عَلَـــيَّ إذا التَّشَـــرُّدُ ضَـــرّني
وسَـــبَبْتُ أوبـــاتَ اللئِـــيمُ يَسُـــبُّني
ومَضَـــيتُ لم أحْفَـــلْ بِجُـــرْحٍ مَضَّـــني
أتَلَمَّـــسُ الـــدنيا لَعَلِّـــي أغْتَـــني
ونَسِـــيتُ أو أُنْسِـــيتُ أمـــراً هَمَّـــني
فَغَـــدَوتُ غَـــدْوَ التَّائِـــهِ الحَـــيْرانِ
مـــاذا عَلَـــيَّ إذا فَقَـــدْتُ سِـــلاحِي
وعَـــلا نَشِـــيجي في الحَيَـــا ونُـــواحي
ووقَفْـــتُ لا أَدْري بـــأي صِـــحَاحِ
أمْضِـــي إذا لم يســـتَطِعْ مَلّاَحـــي
أنْ يَعْبُـــرَ اللُجِّـــيِّ بعـــدَ مَراحـــي
وبِكُـــلِّ إخـــلاصِ، وكُـــلِّ أمـــانِ

مـــاذا عَلَـــيَّ إذا يُقـــالُ نَبِيـــهُ

ويُـــرى النَّبِيـــهُ مُضَـــيَّعاً ونَبِيـــهُ

آذاهُ فيمـــا يَبْتَغـــي .. أهْلُـــوهُ

وأذَلّـــهُ في الضَّـــائقاتِ أخُـــوهُ

وعَـــرَاهُ ضَـــنْكُ العَـــيشِ والتَّسْـــفيهُ

لم يُشْـــقِهِ غَيْـــرُ الأذَى البُهْتَـــاني

مـــاذا عَلَـــيَّ إذا الحَرائـــرُ هُتّكَـــتْ

أعراضُـــها أو أنَّهـــا قـــد قُتِّلَـــتْ

أو قِيْـــلَ في أقصـــى الـــبلادِ تَشَـــرَّدَتْ

إن لم أكـــنْ مِـــنْ أمَّـــةٍ قـــد رُصِـــنَتْ

أحكامُهـــا وعلـــى الكَريهَـــةِ بَايَعـــتْ

للحـــربِ أمْهَـــرَ قائِـــدٍ ربـــانيْ

مـــاذا علـــيَّ إذا تَحَـــدَّثَ ذو شَـــنَبْ

التِّيـــهُ يَمْلَـــؤهُ... ويَمْلَـــؤهُ العُجُـــبْ

وبَــدا وقــد زَعَــمَ العَرَاقــةَ والنَّسَــب

يَخْتَــالُ بالأُبَــهِ الكَــذُوبِ و بِالغَلَــبْ

ويقــولُ وَهْــو المهْتَــدي والمنْتَجَــبْ

فَأبــاتُ بــينَ تَــوَجُّعي وإهــاني

مــاذا عَلَــيَّ إذا تَحَــدَّثَ عــنْ قُصُــورْ

مَــنْ لم يَكُــنْ في مَهْمَــهِ التِّيــهِ صَبور

وبَــدا الضَّــعِيفُ كَأَنَّــهُ اللَّيــثُ الهَصُــورْ

يَشْــتَدّ أو يَعْتَــدُّ والــدُّنيا تَمُــورْ

وإذا بِــهِ الــرَّأسُ المــدَبِّرُ في أمُــورْ

ومُقَــدَّمٌ يُرْجَــى لِخَــيْرٍ.. أمَــاني

مــاذا علــيَّ إذا تَهَجَّــمَ أو أصَــرْ

مُسْــتَكْبِرٍ أنْ يَــرْأسَ الجَمْــعَ الأبَــرْ

فَاسْــطَاعَ عَبْــرَ مَسَــاربٍ أنْ يَسْــتَقِرْ

في مَجْلِــسِ الشُّــورى وبــينَ أولي الأمِــرْ

فـــإذا بأهْـــلِ الـــرَّأْي يَعْلـــوهُمْ نُكُـــرْ

وقَطِيعَـــــةٌ آذتْ كِبَـــــارَ الشَّـــــانِ

مـــــاذا علـــــيَّ إذا تَنَاقَلَـــــتِ الخَبَـــــرْ

صُـحُفٌ أشـارتْ بالحـديثِ وبالصُّـوَرْ

ووَقَفْـــتُ لا أدري وقـــد حَلَّـــتْ غِيَـــرْ

مـاذا وكيـفَ ؟ وقـد تَـدَاخَلَتِ الفِكَـر!!

فَعَيِيـــــتُ أو أدْرَكْـــــتُ أنَّ المـــــؤْتَمَرْ

تَخِـــذَ القَـــرارَ لِعِلّـــةٍ في الشَّـــانِ

مـــاذا علـــيَّ إذا سَمِعْـــتُ بِكُـــلِّ أَمْـــرْ

وعَرَفْـــتُ عُـــرْفَ حَقيقـــةٍ حُلْـــواً ومُـــرْ

وتَعَمَّقـــتْ رؤيـــاي أو أدركـــتُ ضُـــرْ

وَبَـــدَتْ سُـــدومٌ أو تَسَـــدَّلَتِ السُـــتُرْ

والقَـــومُ في أُرْجُوحَـــةِ.. اللامُسْـــتَقَرْ

مـــا بـــينَ حَتْـــفٍ راعِـــبٍ وهَـــوَانِ

مـــاذا عَلَـــيَّ إذا الغَـــداةَ أتـــاني

نَقّـــالُ أخْبَـــارٍ مِـــنَ المِيْـــدَانِ

مُتَـــدَثِّراً بِمَـــلاءَةِ الأحْـــزانِ

يَحْكـــي مَلاحِـــمَ إخْـــوَةِ الإيمَـــانِ

ومَسَـــاكِنا كانَـــتْ لأمْـــسِ أمَـــاني

أضْـحَتْ طُلـولاً بعـدَ جُـرْمِ الجـاني

مـــاذا علـــيَّ إذا رأيـــتُ المسْـــلمِين

عُـــودي عَلَـــيهِم ثُمَّ عُـــودي بـــالمِئِينْ

ورَأَيْـــتَهُمْ كُـــلَّاً علـــى كُـــلِّ فَطِـــينْ

يَتَـــرَبَّصُ الـــزلَّاتِ يَفْعَـــلُ مـــا يُشـــينْ

وخِصَـــامُهُمْ يَعْلُـــو وآهُ المتْعَبـــينْ

وخَصَاصُـــهم نهبـــاً لِـــذي شَـــنَآنِ

مـــاذا إذا الإســـلامُ طُـــمَّ سَـــنَاهُ

وَتَحَاوَشَـــــتْهُ غِيْلَـــــةً أعـــــداهُ

واسَتَنْسَـــرَ البَـــاغِي وحُـــمَّ بَـــلاهُ

وتَغَوَلَـــــــــتْ أَفْكـــــــــارُهُ وَرُؤاهُ

وَازْدَادَ بَـــــــيْنَ المسْـــــــلمين أَذَاه

ولـــه كَـــأَنَّهُمُ خَصَـــاصٌ ثـــاني

مـــاذا أقُـــولُ ومايَفِيـــدُ كَلامِـــي

إنْ لم أدافِـــعُ في الحيَـــا وأُحـــامي

عـــن مَعْشَـــري مِـــنْ أُمَّـــةِ الإســـلامِ

مِـــنْ بَعْـــدِ حَيْـــفٍ جَـــائِرٍ وَإهـــانِ

مِنْ مِهَادِ الذِّكْرَى – (الملحمة الثانية)

كان يوم خروجي من منغ الخميس ١٩٨١/١/١٥م. وكان انتهائي من بناء هذه الملحمة في ذمار اليمن في يوم السبت الموافق ٢٠١١/١/١٥م. وعدد أبياتها مئة وثلاثة وثلاثون بيتا ، وهي إطلالة على ثلاثين عاما مرت ، إنها (الملحمة الوطنية الكبرى في سورية المعاصرة) وهي تحكي حال السوريين بعامة ؛ رؤيتهم ومواقفهم ، وما آل إليه أمرهم بعد خروجهم من الوطن ، وانسياحهم في أرجاء المعمورة ، وتعرضهم للملاحقة ، تعرضا أدى إلى ما هم فيه من ابتلاء عريض ، وإيذاء كبير.

ثم جد جديدها ، واشتعلت الثورة ضد النظام الطاغية. فأتبعناها بسبعين بيتا تتحدث جميعها عن الثورة ، وترصد أحداثها بصدق وموضوعية. فاكتمل بناؤها من وجهة نظرنا المتواضعة ، وقد بلغت مئتين وخمسة أبيات. وهذه التتمة: بعضها كتبناها في المملكة العربية السعودية ، وبعضها في ليبية ، وبعضها الآخر في اليمن وقد انتهينا من كتابتها في الحادي عشر من شوال لسنة ألف وأربع مئة وثلاثة وثلاثين خلت من الهجرة ، الموافق التاسع والعشرين من آب/أغسطس لسنة ألفين واثنتي عشرة خلت من الميلاد.

و(الملحمة الوطنية الكبرى في سورية المعاصرة) أو (من مهاد الذكرى) والتي وسمت أولا (بذكرتك) مهداة إلى السوريين بعامة ؛ إلى أخ منهم لم تلده

أمي ؛ شاطرني الهمّ ردحاً من الزمن ، ثم شعثت الأيام فتباعدنا. فإلى روحه الطيبة أهدي هذه الأبيات ، لعلها تكون الشفيع ، بعد انقطاع طويل.

(١) ذَكَرْتُكَ – أولا

ذكرتُـكَ في سِـري ذكرتُـكَ في جَهـري

ذَكَـرْتُكَ والأيـامُ مـنْ خلفِنـا تَجْـري

ذكـــرتُ أمـــانيِّ ذكـــرتُ مَواقفـــي

ذكرتُ رَفِيفَ الوجدِ يخفُقُ في صدري

ذكـــرتُ زمانـــا والهـــوى بعـــدُ لاعِـــجٌ

بأفئـــدةٍ حَـــرّى تكابِـــدُ مـــن حَـــرِّ

غـــداةً كـــأنَّ الـــدمعَ يحجُـــزُ بيننـــا

وقـــد قَـــذَفَتْ بـــالآلِ في مَهْمَـــهٍ وَعْـــرِ

وقـــد أزِمَـــتْ فيهـــا الليـــاليُّ وانـــبرتْ

تكيـلُ لنـا بالصـاعِ عَشْـرا إلـى عَشْـرِ

(٢) ذَكَرْتُ إخائي

ذَكَـــرْتُ إخـــائي والإخـــاءُ عقيـــدةٌ

وآصِـرَةٌ تَقْـوَى علـــى الكيـدِ والإصْـرِ

ذَكَّرْتُ (مَسِيري) و (اغْترابي) و(مَوقفي)

ومـا أنـا فيـه مِـنْ يَسَـارٍ ومِـــنْ عُسْـرِ

زمانـــا وقـــد كُنـــاَ كمحتلـــب رجـــا

بماعـــونِهِ والـــدَّرُّ يَـــشْرَقُ بالـــدِّرِّ

يقـولُ صِـحابُ الـدربِ حَلحِـلْ صِـعابَها

وقد أزِمَتْ والقلبُ يُشْوَى على الجَمْرِ

فقلـتُ صِـحابَ الـدربِ إنّ صِعابَـها

مقـــاديرُ لا تَنْـــزاحُ بالـــرَأْيِ والفِكْـــرِ

مواقيتُهـــا تقـــديرُ ربٍّ بأمـــرِهِ

تعِـزُّ حيـاةً أو تَـؤولَ إلـــى خُسْـرِ

مواقيتُهـا عُـرْسُ الشـهيدِ وعـودةُ الـ

شَّـرِيدِ وإيـــذانٌ بِمُنْـبلَجِ الفَجْـــرِ

(٣) ذَكَرْتُ الحِمَى

ذَكَـرْتُ الحِمـى حيـثُ الحبـالُ تَقَطَّعَـتْ

وحيـثُ حشاشـاتُ القلوبِ على إثـري

وحيـــثُ الصَّـــباحاتُ المرَجّـــى شُـــروقُها

وحيـــثَ المواعيـــدُ المحـــلاةُ بالنَّصْـــرِ

وقـــد مازجَتْنـــا والرِّيـــاحُ عَواصـــفٌ

مشـاعِرُ شَـتى مِـنْ بَـدِيٍّ ومِـنْ سـرِّي

فقلـــتُ سَـــلامُ اللهِ أهـــلا وإخـــوةً

ومَعْشَـرَ صِـدْقٍ مِـنْ مُقِـيمٍ ومِـنْ سَفـرْ

رِضـاءً وتسـليماً بمـا كـانَ أو جَـرى

بمـا أنْـزَلَ الـرحمنُ في ليلـةِ القَـدْرِ

(٤) ذكرتُ إخواني

ذكـرتُ ومَهْـدُ الشَّـمسِ سـاحاً وَملْعَبـاً
لإخْـــوَانَ سَـــبَّاقينَ في عـــالمٍ نَضْـــرِ
رِجـــالٌ تَـــدَاعَوْ مـــن هُمـــامٍ ومـــاجِد
كـــريمٍ ومقـــدامٍ ومـــن فـــارسٍ حُـــرّ
صَـــحائِفُهُمْ بيـــضٌ وفي قَســـماتِهِمْ
شمائـلُ كَـمْ حَـدَّثْنَ عـنْ حَـاليَ الـذّكْرِ
قـَضَوْا دونَ بـابِ المجـدِ أسـدا بواسـلاً
رجـالا فكـانوا في الـورى غُـرّةَ الدَّهْـر
هُـمُ آذنـوا الطُّغيـانَ مِـنْ قَبْـلُ ثـورةً
وصَـالوا علـيهِم صَـوْلةَ الليـثِ والصَّقْـرِ
مَشَـاهيرُ صـاروا كالنُّجـومِ أهِلَّـةً
وكالكوكـبِ الـدُرّيّ أو رائـقِ الـدُّرِ

أمـــيرُهُمُ لا يعـــرفُ الحَيْـــفَ سَـــيّدٌ

وســـيَّدُهم شيـــخٌ لـــه حِنْكَـــةُ الخَبْـــرِ

وإنســـاهُم أُترُجّـــةُ الـــدهرِ نَفْحُـــهُ

تمـــازَجَ مِـــنْ طيـــبٍ يَـــدُلّ ومـــن طُهْـــرِ

بَهَاليـلُ فُرسـانٌ حكـى الـدَّهْرُ صِـدْقَهُمْ

وقـد أَزَمَـتْ والـدهرُ شـاهدُها العَصْـري

وقـد عَلِمَـتْ عليـا الشـآم بِـأَنّهُمْ

هـــمُ الثلَّـــةُ العربـــاءُ في المـــوقفِ الوَعْـــرِ

شَـبابٌ رِزانٌ في الأمـورِ أولـو نُهًـى

علـــيهم وَقَـــارٌ لا يُنَهْنَـــهُ بالزَجْـــر

صِـحابٌ مَيـامينٌ لَهُـمْ سُـدَرُ العُلـى

هُـــمُ خَطَبُوهـــا بالمثقفـــةِ السُّمْـــرِ

هُـــمُ كَرُمُـــوا في العـــالمينَ مناقبـــاً

وهُـمْ نَبَهُـوا والقـومُ صَـرْعى مِـنَ الخَـدْرِ

لَهَـــمْ بَـــيْنَ قَلـــبي والشّـــغافِ مَنَـــازلٌ

فَخَفْقَـــةُ قلـــبي مِـــنْ حِـــراكِهِمُ الثـــوري

عَلِقْـــتُ بِهِـــمْ أهـــلاً كـــراماً وإخـــوةً

وأرغَـــبُ مـــنهم أن أكـــونَ علـــى إثْـــــرِ

سَلـــُوا تـــدمُرَ الحمـــراء عـــنهم فإنهـــم

صَـــريخٌ تَـــأَبّى أنْ ينـــامَ علـــى وِتْـــــرِ

سَـــلوُا حلـــبَ الشـــهباءَ عـــنهم فإنهـــم

شمـــوسٌ أضـــاءتْ أو عنـــاوينُ مـــن فَخْـــرِ

سَـــلُوا حاضِـــرَ الأحـــرارِ عـــنهم فإنهـــم

أحاديـــثُ تُـــرْوى للأنـــامِ مـــدى الدهـــر

سَـــلوُا إدْلِبـــاً عـــنهم فهـــم جَحْفَـــلُ الفِـــدا

إذا مـــا انْتَخـــوَا بـــينَ المِعـــرَّةِ والجسْـــر

سَـــلوُا الـــديَرْ عـــنهم والميـــادينُ سُـــوحُهم

فهُـــم ثُلّـــةُ الإقـــدامِ طلاعَـــةُ الثَّغـــر

سَـلوا مِنَّغِـي عـنهم فهُـم نَفْحَـةُ الفِـدا

وهُـــمْ بَـــارِقُ الآمـــالِ والليـــلَ إذْ يَسْـــرِ

هُـمُ الشَّـعبُ ثَـاروا قَصْـدَ فَـكِّ وَثَـاقِهم

وهُـــمْ أقـــدموا إقـــدامَ رِئبالِهـــا الحُـــرِّ

وَهُـــمْ عَرَّفـــوا الـــدنيا بأقْـــدارِ أمّـــة

لهـا سَـجَدَ التـاريخُ في سـالفِ الدَّهْـرِ

سَـلُوا الشـامَ كُـلَّ الشـامِ إنَّ شبابَهـا

حمـاةُ دِيـارٍ بـل عـرانينُ مـن كِبـر

بِعُهـــدَتِهِم أرضُ الشـــآمِ وشعْبِهـــا

فهـم يمنعـون الشـامَ طُـرًّا مِـنَ الغَـدْر

بِمُقْلـتِهم هـذي الـبلادُ بِأسْرِهـا

مـن الشرقِ مـن أقصى التُّخُومِ إلى البَحْـرِ

بـلادٌ بهـا العُمَّـارُ أَكْثَـرُهُم تُقَـى

وأكثـرُهُمْ عنْـدَ المواقيـتِ في النَّشْـرِ

سَـلوُني أنـا عـنهم فهـم عَزْمَـةُ الإبَـا

وهـم صـيحةُ الإقـدامِ في وجْـهِ مُسْتَشْـرِ

هُـمُ لَقَّنُـوا الأجيـالَ درسـا مِـنَ الفِـدا

وزادوا علـى الأمجـادِ سِـفْراً إلى سِفْـرِ

وهُـمْ فَتَحُـوا الأبْـوابَ للثـورةِ التـي

يُطَـاحُ بِـرَأسِ الشَّـرّ فيهـا وبالجَـذْرِ

كَـأَني بِهِـم والشـرُّ كَشَّـرَ نابَـهُ

لَهَـازِمُ شـقّتْ بالفِـدا مُهْجَـةَ الشَّـرِ

هـمُ القـومُ وُرّاثُ الشـجاعةِ والنَّـدى

قـوافِلُهُمْ تَـتْرى وتَـتْرى إلى الحَشْـرِ

إذا مـا مضـى جيـلٌ وآفـلَ نجمُـهُ

أجَـدّ بهـا جِيـلٌ يُـؤَذِّنُ بالنَّشـرِ

كـذاكَ صَـباحاتُ الحيـا ةِ ونَشْرُهـا

علـى قّـدَرٍ تـأتي وتمضـي علـى قَـدْرِ

إذا ذكّـــرَ تنْـــيهِمْ ليـــاليُّ غُربَتـــي

تَهَلْـلَ مـني الوجْـدُ بالـطيّبِ العطـري

بَنُـو العمـلِ المستحَسَـنُ اليـومَ رسمُـهُ

وقـد رسمـوا الـدربَ المـؤدي إلى النَّصـر

وقـد نَضَّـرَ اللهُ الوجـوهَ بموقِـفٍ

لبوسـُهُمُ فيـهِ سـرابيلُ مِـنْ طَهْـرِ

وقـد ضـربوا الأمثـالَ في العُسْـرِ للـوَرى

كمـا ضَـربوا الأمثـالَ في موَقِـفِ اليُسْـرِ

(٥) ذَكَرْتُكَ – ثانيا

ذكـرتُ وأنـتَ اليـومَ سِـرٌّ لِمَـنْ رَأى

تُغَادي الرُّؤى ما بيـن (يَدري ولا يَدري)

ذكرتُـكَ تَـروي للأنـامِ حقيقـةً

وتَعلُـو عُلُـوَّ الشـمسِ والأنجُـمِ الزُّهْـرِ

ذكرتُـــكَ إنســـاناً ذكرتُـــكَ صاحبـــاً

ذكرتـــكَ فَهّـــاماً تُـــحاوِرُ عـــن خُبـــــر

تبُشّـــــرُ بالحُســـــنى بمســـــتقبلٍ لـــــهُ

ملامِـــحُ تُزْهَـــى بالأطاييـــبِ والبُشْـــــرِ

تقـــولُ وبعـــضُ القـــولِ آيٌ مُرَجَّـــعٌ

وسُـــبْحانَ ربي آيُـــهُ لـــيس بالحَصْـــــر

ألا إنّمـــا الإســـلامُ في الأرضِ دعـــوةٌ

خَـلاصٌ بهـا تَشْـفى النفـوسُ مـن الهَـــزْر

ذكـــرتُ الأمـــانيَّ العـــذابَ وقـــد بَـــدَتْ

مـــآذنَ خُضْـــرٍ في بســـاتينها الخُضْـــــر

حقـــائقُ كانـــت كالشـــقائقِ لوُنهـــا

تبـــوحُ بمكْنـــونٍ عـــنِ الموقـــفِ النَّضْـــــر

عـــنِ الواقِـــعِ الملتـــاثِ عـــن شـــعبِنا الـــذي

بَـــدا اليـــومَ توّاقـــاً إلى مَطْلِـــعِ الفَجْـــــرِ

حشاشـــــاتُ رُوحٍ يـــــا أمـــــيرُ لِذَوْبِهـــــا

صَـرِيخٌ وقـد تاهَـتْ بِعالمِهـا القَفْـــر

معـالِمُ أيـنَ اليـومَ حَطَّـتْ رِحالَهـا؟

وكيـفَ تَخَلَّـتْ عـن ثوابِتِهـا الغُـــرِّ؟

وكيـفَ غَـدَتْ جَبَّـاءَ يُفْـزِعُ حالُهـا؟

مروّعـةً مِـنْ فِعْـلِ زيـدٍ ومِـنْ عَمْـــرو؟

(٦) ذَكَرْتُ أُصَيْحابي

ذَكَـرْتُ أُصَـيْحابي الجميـعَ ومَـنْ لهـم

مُشَـاركَةٌ في الهـمِّ والهـاجِسِ الثَّـــوري

فقلـتُ سـلامُ اللهِ مِـنْ مَعْشَـرٍ ابْتِـلا

تأذَّنَـهُ العُـدْوانُ بالخُبْـثِ والغَـــدْرِ

ليـاليَّ شَـطَّ الحِلـمُ فيهـا وشَطَّـــتِ

فبـاتَ خَلِيُّ النَّفسِ مُنْقَبِضَ الصَّـــدْر

علـى الضِـفَّةِ اليُسْـرى ونحـن جماعـةٌ

تنـاءتْ عـن الأوطـانِ في بلـدِ الغَـــيْرِ

وقـد صـابَها لَغَـبُ الحيـاةِ فَأَعْجَمَـتْ

ونـــاءت بعـــدوان تســـلح بالمكـــــر

تأذَّنَهَـــا بالشَّـــرّ والشَّـــرُّ مَلْمَـــــحٌ

لـــذي تِـــرَةٍ لازالَ يَلْهَـــجُ بالشَّـــــــرِّ

وَحَاوَطَهـــا كـــالوحشِ يبغـــي اغتيالَهـــا

وإيـــذاءَها بالنـــابِ طَـــورا وبِالظِفْـــــرِ

ومـــا وَفَّـــرَتْ أَحْشَـــاهُ كيـــدا لِمُسْلِـــمٍ

ولا سَلِمَتْ منه الحشاشاتُ في القَبْـــرِ

وحـــالُ الرَّعِيـــلِ الفَـــذِّ حـــالٌ مُنَهنَـــهٌ

من القَهْرِ لا يَدْري المساءَ مِنَ الظُّهْـــر

بأقْصـــى ثَنِيّـــاتِ الضـــياعِ مُضيّـــع

فـلا هُـوَ مَـطْويٌّ ولا هـو فـي نَشـــرِ

ولا هُـــوَ مأخـــوذٌ ولا هُـــوَ آخِـــذٌ

ولا هُـوَمن ينجـو بأسمالِـهِ الغُبـــــرِ

وقــد دَهدهَتــهُ الــريحُ نحــو وقيعــةٍ

لِيَلعَـقَ فيهـا المـرَّ مِـن واقـع مُـــــرِ

وقــد طَــوَتِ الأيــامُ منــهُ بيارقــاً

وجفـّت ينَـابِيعٌ وأُعسِـرَ في العُسْـــر

وبـــاتَ أخـــوهُ في المهامِـــهِ دابُـــهُ

لُقيمـاتُ قـــد (تُمري عليهِ ولا تُمرِي)

أسـير اغـتراب بـينَ نـابٍ وَمِخْلَـبٍ

تَخَبَّطَ لا يَدري الخلاصَ من الأسْـــر

(٧) فتى الموقف

فَـتَى الموقـفِ الـرِّبّيّ سُـبْحانَ ربِّـهِ

إذا مـا ادْلَهَـمَّ الأمرُ أو زِيدَ في الأَمْـــرِ

صـبورا حليمـا لا يضـارِعُهُ النَّـدى

يحَلْـحِلُها بـالحِلْمِ حينـا وبالصَّـــبْرِ

إذا سَـــــاوَرَتْهُ النائبـــــاتُ رأيتَـــــــهُ

تبَسَـــمَ يَلْقَاهـــا بِمُتَّسَـــعِ الصَّـــــــدْر

كَـــأنِّي وقـــد أمضـــى الثلاثـــينَ غُـــدْوَةً

يُهَلّـــي بهـــا لا يَعْبـــأُ الـــدَّهْرَ بالسَيْـــــرِ

يُصَـــاوِلُ في زنزانـــةِ الرُعـــبِ سِيدَهـــا

وَيَصْـمُدُ لا يَخْشى الثعـابينَ في الجُحْـــرِ

ويَعْلُـــو علـــى السِّـــفْلِ اللئـــيمِ بحكمـــةٍ

ويَشْـــمَخُ في دُنيـــا الكرامـــةِ والفخـــــرِ

وقـــد لَقِنَـــتْ منـــه الحيـــاةُ سَجِيَّـــــةً

تَبـاهى بهـا والكـوْنُ يَلْهَـجُ بالطُهْـــــرِ

تَـــراهُ بِسُـــوحِ المـــوتِ يَغْـــرزُ نَصْلَـــهُ

ويُعْلِـــنُ أنَّ المـــوتَ محبوبُـــهُ العُـــــذْري

(مُنَاضِـــلُ) في أثوابِـــهِ العـــزُّ صاحـــبٌ

إذا مـا انتْحَـى يومـا بسـاحاتِها الحُمْـــرِ

(مُكَـــافِحُ) مـــا بـــالى بقـــوةِ جَـــارِمٍ

ولا هـــانَ في خَصْـــمِ الجريمـــةِ والعُهْـــــرِ

(مُقَـــاوِمُ) للطغيـــانِ ابْـــنُ كـــريهةٍ

وفارسُـــها إنْ جَـــدَّ جَـــدُّ مـــن الأمْـــــرِ

(مُجَاهِـــدُ) صـــلَّى اللهُ مـــن عَلَـــمِ الفِـــدا

عليـــه وحَيّـــا مـــن رَفيـــقٍ ومـــــن ظِئْـــرِ

(٨) هُمُ القَومُ

هُـــمُ القـــومُ حُـــرَّاسُ الحيـــاةِ عزيـــزةً

وطُلاَّبُهـــا مـــن مُقْلـــةِ الصَّـــقرْ والنسَّـــــرِ

تَـــآخَوْا مـــع الجُلَـــى وعاشُـــوا لِمِثْلِهـــا

وكـــانوا وإيّاهـــا كَفَـــرْنَيْنِ في القَـــــدْرِ

بِهِـــمْ يستـــظِلُّ الركـــبُ مِـــنْ وَهْـــجِ حَرِّهـــا

وَيَـــأمَنُ مِـــنْ دَهْـــمِ المكَـــارِهِ والغَـــــدْرِ

وَيْقَــوى علــى رَيْــبِ الزمــانِ وكيــدِهِ

بجَمْـــعٍ ولمٍّ أوبِشَـــدٍّ مِـــــــنَ الأزْرِ

بموقـــفِ صـــدقٍ لا يـــرامُ جنَابُـــهُ

وإن سُـلِّحَتْ (رَعْنـاءُ) بـاللؤمِ والغَـــدْرِ

مِثَـــالاً لَمْـــن رامَ الحيـــاةَ كريمـــةً

بهــم يَهْتَــدي التيّــاهُ في المهمــه القفــرِ

وقـــد عَرَفُـــوا أنَّ الحيـــاةَ كريمـــةً

مُمَنّعْـــةَ ليســـتْ كَمَهْتُوكَـــةِ السِّـــــتْرِ

فَــزادوا ومــا بــالَوا بحجــمِ جــراحِهم

وإن كانْ حَجْمُ الجُرحِ في الدفقِ كالنَّهْـرِ

تَمَـــثَّلَهُمْ قلـــبي ورُوحـــي لأَنَّهُـــم

مِنَ القلبِ بل والروحِ بَعْضٌ من الفِكْـر

عَلَـــيهم صـــلاةُ اللهِ ثم سلامُـــهُ

وأكــرِمْ بِهِــمْ أكــرمْ بأجْوازِهــا العُـــبْرِ

(٩) ذَكَرْتُكَ – ثالثا

ذكــرتُ وأنــتَ اليــومَ سِــرُّ موشــحٌ

بأخيلــةٍ خضــراءَ تَعبَــقُ بالطُّهــــرِ

علــى أي دربٍ قــد تَخِــذتَ مســارهاً

وفي ايِّ حــينٍ قــد تعــودُ إلى الوكــــرِ

فأنــتَ شــبيهُ النَّســرِ عــزاً ورفعــةً

وأنــتَ وريــثُ النسرِ في وُكَــنِ النَّســـرِ

وأنــت إذا مــا الــدهرُ آذن أَهلَــهُ

بِجَائِحَــةٍ خَضَّــدتَ جائحــةَ الدهــــرِ

إذا قيــلَ عبــدُاللهِ أو لاحــت الــرؤى

تَغَشّــى الرُّؤى مـني جَهَـامٌ مِـنَ الفِكْــر

(١٠) ذَكَرْتُكَ – رابعا
والأيام يخضلُّ دمعها

ذكرتُـــكَ والأيّـــامُ يَخضَـــلُّ دَمعُهـــاُ

وقـد حَشْـرَجَتْ والآهُ جَمْـرٌ علـى جَمَـــرِ

سـنينَ خَلَـتْ والـدهرُ عَـرَّسَ سـيدُهُ

بِمُنعَطَـفٍ خـالٍ مـن العَطْـفِ واليُسْـــرِ

بـوادي الغَضَـا والليـلُ يرخـي سُـدُولَهُ

وذئـبُ الغضَـا في الليـلِ أشرسُ منِ نْمَـرِ

ونحـــن بـــأبوابِ المـــنى نَرْقُـــبُ المـــنى

نفيـقُ علـى أمـرٍ ونغفـو علـى أمـــــرِ

ببادِيـــةِ الضـــجرانِ حيـــثُ الذرائـــعُ

وحيـثُ الهـوى المعسـولُ يمـــزجُ بالصَّـبْرِ

يحـــوطُ الـــرؤى مِنّـــا ادكـــاراً نجـــلُّهُ

ودون ادِّكـارِ الأمـــسِ (ضـارٍ ومُسْتَضْـر)

مـــن القـــومِ مِمَّـــنْ جَمَّعـــتْهُمْ مَكـــارةٌ

وصـاغت حُمَيّـاهُمْ أفـانينُ مِـــنْ قهـرِ

فنغـــدو كَمَـــنْ قـــد آذنتْـــهُ بصـــرفِها

ســـُليَمْى وألقـــته بمنعـــرجٍ قَفْـــــرِ

يـذوقُ مِـنَ الـوَيلاتِ مـا ذاقَ يوسُـفٌ

ويلقـى الـذي لاقـى السِنِمّارُ مـن ضُـــرٍّ

وقـــد شـــاءَ رَبّي أنْ يكـــونَ عزيزَهـــا

وأن تخلُـصَ الأحـوالُ فيهـا إلى خـــيْرِ

أفـاويقُ كـم طابـتْ وكـم طـاب شُـرْبُها

وكـمْ طَفَحَـتْ منهـا الأسـاريرُ بالبِشْـــرِ

ومـا عكّـرَ الأطيـابَ إلا أخـو هـوى

وإلا هَـــوى لازال يَخْلُـــجُ في السِـــرِّ

ألاعيـــبُ باتـــتْ ناشِـــطاتٍ وفِعْلُـــها

حكـومٌ وعُقْباهـــا (أمـرُّ مِـن المِـرّ)

إذا أَرْسَـــلَ الـــرأيَ الحكـــيمُ بصَرْفِـــها

تَـراءى لـه فيهـا جَهَـامٌ مـن الذُّعْـــرِ

فبـاتَ علـى الأعْقَـابِ ينـدُبُ حَظَـهُ

ويأسـفُ ممّـا كـانَ مـن حـــالهِ المزرِي

أشَـلَّ الـرُؤى في التِيـهِ يَحْـرُكُ قاعِـداً

يكفكـفُ دمعـاً سَحَّ مـن مُقْلَـةِ العُمْـرِ

وقـــد نـــازَعُوهُ حَقـــَّهُ فـــتبدَّدتْ

رؤاهُ ووافَتْـــهُ ريُـــوبٌ مِـــنَ الدَّهْـــرِ

فـــإنْ شِـــئْتَ أنْ تبَكـــي رُؤَاهُ وَحَـــقَّهُ

وإن شـئت فـادعُ الله مندوحـــة تُـبْرِي

وإنْ شـئتَ خُـذْ بـالأزْرِ إنّـكَ صـاحبي

لمنتصـرٌ إن كنـــتَ تـــأخُذُ بـــالأَزْرِ

وإلا فَـــإنَّ اللهَ أمـــرُهُ نافِـــذٌ

وعُقْـبَى الأنـامِ المفْـرِطِينَ إلى خُسْـــرِ

بُكـــائي علـــى آلي وإخْـــوانِ مَوْقِفـــي

وآهـــي مِـــنَ الجُلّـــى وقاصـــمةِ الظَّهْـــرِ

وَدَمْعِـــي وقـــد أمْسَـــى كَسَـــيْلٍ وعَـــبْرَتِي

وقـــد لازمَتْـــني في الشَّـــهيقِ وفي الزَّفْـــرِ

تُحَـــدّثُ عـــني للأنـــامِ حَدَيثهـــا

أنا الصاحبُ المصحوبِ بالهَضْمِ والقَهْـر

عليـــكَ ســـلامُ اللهِ عَـــدْلاً ومُنْصِفـــاً

ويَحْفَظُـــكَ الـــرحمنُ فيهـــا مـــن الجَـــوْرِ

(١١) ذَكَرْتُكَ وَ الأيامُ
جَدَّ جَدِيدُها

ذَكَرْتُـــكَ والأيـــامُ جَـــدَّ جَديدُهـــا

وعـادتْ رِيـاحُ الوجْـدِ تَخْفُـقُ في إثْـــري

وقـــد لاحَ منهـــا في الحيـــاةِ بَيَـــارِقٌ

وآذنهـــا الـــرحمنُ ضَـــربا مِـــنَ النَّشْـــرِ

وشَـــبَّ شـــبابٌ مُنْتَمُـــونَ وفُتِّقَـــت

بَـراعِمُ كانَـتْ قَبْـلُ في عـالَمِ الـــذَّرِ

فكانـــَ أذانـــا للفـــلاحِ وموعِـــدا

لِفَجْـرٍ يُهَلّـي بِالصَّـباحاتِ والبِشْـــرِ

وقـــد خُـــطَّ دربٌ للخـــلاصِ بثـــورةٍ

بِحَنْجَـرَةِ القَاشُـوشِ تَصْـدَحُ بالنَّصْـــرِ[1]

وطَـــارَ شُـــعاعٌ في الشـــآمِ جَميعِهـــا

يبَشِّـرُ بالـدربِ المـؤدّي إلى الفَجْـــرِ

وكـــان لـــدرعا أن تـــكونَ طليعـــةً

وأنْ تـزحمَ الـدنيا بموقِفهـا الثـــوري

وأنْ تـــوقِظَ الأمـــواتَ في رُمَـــمِ البِلـــى

وتَجبـهَ طـاغوتَ الـبلادِ بمـا يَجْـــري

وقـد خـرجَ الأبنـاءُ للسـوحِ وانتهـتْ

إلـيهم مقاليـدُ الرياســـةِ في الأَمـــرِ

ولم يَعُـــدِ الحَـــابوسُ يحجـــزُ بينَهـــم

وقد أصبحَ الحابوسُ مُزْدَلفاً قَسْـــري[2]

لبـيضِ وُجُـوه مـنْ صـحابٍ وإخـوةٍ

خُـروجُهُمُ الميقـاتُ في عـالم النَشْـــرِ

فكـــانوا بِـــدرعا مَـــدّها ونفيرَهـــا

وكـانوا بِحِمْـصَ الـزرعَ يَنْبُتُ في الصَّخْـرِ

وكـــانوا وقـــد صـــاروا بإدلـــبَ مَعْلَمـــا

تَصَـدّرَهُ الهَرْمُـوش بالقلـبِ والصَّـــدْرِ[٣]

بِمَوقـــفِ عـــزّ لا يُحَطِّمُـــهُ البِلـــى

ولا يَنْتهـي مـا طـالَ طَـوْلٌ مِـنَ الدَّهْـــر

لعَمْـــرُكَ إنَّ الخالديـــةَ مَوقِـــفٌ

لـه شَـــهِدتْ دُنيـا الأحبـةِ بالقَـــدْرِ

كَـذاكَ وبابـا عمـرو صِـنْوُ نِضالِهـا

وقـد ضَـرَبوا الأمثـالَ للنـاسِ بالصَّـــبْرِ

ومـا هَمَّهُـم أنْ يَهْـدِمَ البغـيُ بيـتَهُم

ولا أنْ يُطـالوا بالجريمَـةِ والغَـــدْرِ

وقـــد عَرَفُـــوا أنَّ الحيـــاةَ مصونـــةً

أجَـلُ وأســمى مـن مُهتّكـةِ الســتر

كـــأنَّ الشـــبابَ في الميـــادينِ غُـــدوةً

يُعيـدُوَن للأذهـانِ مـا كـانَ مِـنْ أمـــرِ

ومِـــنْ وَثْبَـــةِ الإخـــوانِ في سُـــوحِ عِـــزِّهِم

غَـداةَ تَحَـدَّوا سُـلطةَ العَسْـفِ والقَهْـــر

فكـــانوا صَـــريخَ المـــؤمنين وصَيحَـــةً

أفاقـــتْ لهـــا سُـــوريةُ النبْـــلِ والطُّهْـــــر

وقـــد خرجـــتْ تَبْغـــي الحيـــاةَ كَريمـــةً

بأبنائهـــا الأَبْـــرارِ والمِعْشَـــرِ الغُـــــرِّ

هُـــمُ اليـــومَ في سُـــوحِ المعـــرَّةِ مَعْلَـــمٌ

وفي إدلـــبَ الأحْـــرارِ أُهْزُوجَـــةُ النَّصْـــر

وقـــد وقَفُـــوا في اللاذقيـــةِ موقفـــاً

على وَقْعِـهِ ثـارتْ دِمَشْـقٌ على الجَـــوْرِ

وقـــد صَـــدَمُوا طُغيـــانَ بَشَّـــارَ صَـــدْمةً

صَـداها تبَـدَّى بيـــنَ إدْلـــبَ والدَّيْـــر

وقـــد بـــانَ منـــه في الميـــادينِ مَعْلَـــمٌ

كمـا بـانَ في البيضـاءِ قبلا وفي الجِسْـــر

لَعَمْـــرُكَ إنْ ألْـــوى بِشَـــهْباءَ أَدْهَـــمٌ

وكانَ الذي ما كانَ منها من القَصْـــر

لقـــد وقفـــتْ أَرْيافُهـــا الخُضْـــرِ مَوْقِفـــا

أعادتْ به ما كانَ مِنْ سالِفٍ نَضْـــر

وقـــد عَلِمَـــتْ عُليـــا الشـــآمِ بِأَنَّهـــا

هِـيَ الفَيْصَـلُ المخبـوءُ للْحَسْـمِ والبَتْـــر

هِـيَ الفَيْصَـلُ المخبـوءُ للموقِـفِ الـذي

بـه اجتِثَـاثُ الشـرِّ طُـرا مِـنَ الجَـــذْرِ

وقـــد عَلِـــمَ البـــاغونَ أنَّ مصيرَهُـــم

بأيـدي رجـالٍ عاهـدوا اللهَ في السِـــرّ

بـأنْ يثـأروا مِـنْ ظـالميهم ومَـنْ بَغَـوْا

عليهم ومَنْ كانوا أسَاطِينَ مِنْ عُهْـــر

فكانـتْ مَلاحِـمُ حيـث كانـتْ وصَـيْحةٌ

أصابتْ حَشَا الباغينَ بالخوفِ والذُّعْـــر

فكـــانَ جَديـــدٌ يـــا أخـــيّ وموقِـــفٌ

لـه شَخَصَـتْ منّـا المشـاعِرُ بالشِّـــعْر

ولاحَ بِـــأُفْقِ الشـــامِ فَجْـــرٌ مُبَشِّـــرٌ

بِمَقْدِمِـــهِ الميمـــونِ يَطْفَـــحُ بالبِشْـــرّ

فكـــانَ لزامـــا أنْ نُقَـــدَّمَ صَفَّـــهُ

وأنْ نَعْضُـــدَ الثـــوارَ بـــالموقِفِ الثَّـــوْري

وقـــد أَزِفَ الميقـــاتُ مِـــنْ بَعْـــدِ فتـــرةٍ

وآنَ أوانُ الـــردِّ والأخْـــذِ بـــــالأزْر

ومـــا عـــادَ يُجْـــدي حَـــذْفُ رَقْـــمٍ لغـــايةٍ

ولا أنْ يكـــونَ الـــرَّقْمُ في مَهْمَـــهٍ قَفْـــر

ولا أنْ نُـــرى في الـــدربِ نمشي بـــلا هُـــدى

بِمُغْتَـــرَبِ الأيـــام نَظْلَـــعُ في الأمـــرِ

وإخوانُنـــا عـــادَ الصَّـــريخُ يَزُفُّهُـــم

قتـــيلا قتـــيلا أو مُجَـــدَّلَ في الأَسْـــرِ

فللـــهِ شـــعبٌ يُبْتَلـــى بِمَكـــارِهٍ

ولله شَـــعْبٌ يَرْسُـــفُ اليـــومَ بالقَهْـــرِ

ولله أَرْضٌ قـــد تَأَبَّـــدَ غُولُهـــا

وصـــارتْ ظَلامـــاتُ الرجـــالِ بـــلا حَصْـــر

وللهِ مِـــــنْ دارٍ بِمَنَّـــــعَ قفـــــــرةٍ

بِمُنْعَطَـفِ الأحـداثِ تَشْـخَصُ في وِتْـرِ

وقـــد هَـــدَّمَ البـــاغون جُـــلَّ بنائِهـــا

ومُـزِّقَ منهـا الِّسْـتُرُ واغتِيـلَ ذو حِجْـرِ

فصـــارتْ صَـــرِيخا للرجـــالِ ودعـــوةً

لـــردِّ طَغَـــامِ الحقـــدِ عَـــنْ دارةِ الخَيْـــرِ

وللهِ مِـــنْ قَـــبْرٍ بِمَنَّـــعَ شاخـــــصٍ

يُحَـدِّثُ عَـنْ آل الحجـازيّ والبَكـــري

وعَـنْ آل ناصـيفٍ وقـد أَنْصَـفوا المِـنى

وعـن آل إسماعيـل ذي الأوجـه الزهـــر

وعـــن آل دك والـــدكادك عصبـــــة

وآل حميـدو حيـث يكـرم في النشـــر

رجـــال تـــداعوا للجهـــاد فأبدعـــوا

وأعطـوا عطـاء المكثـرين مـن الـــبر

ودرِّ الرجـــالِ الْمُصـــطَفَيْنَ ومـــنْ لهـــم

أيـــادٍ بهـــذا الـــزَّخْمِ والثـــورةِ البِكْـــــرِ

وقـد أَشْـعَلوا فيهـا قناديـلَ مِـنْ هُـدى

وقـد أَسْـرَجُوا فيهـا خيـولا مِـنَ الطُّهْـر

فكـــانوا مِثَـــالا لِلشَّـــجَاعَةِ والنَّـــدى

بِهِـمْ يَهْتـدي الضُّـلالُ في العُسْرِ واليُسْـر

ولله مِـــنْ أُمٍّ تَفَطَّـــرَ كَبِدُهـــا

وقـد تَرَكُوهـا شِـبْهَ عميـاءَ في قَفْـر

تَـــدُبُ بِمِنْســـاةٍ وتَلْعَـــنُ حَافظـــا

وَتَـدْعو عليـه اللهَ دعـوةَ مُضْطَـرِّ

ولله دَرِّي حِـــيْنَ أَتْـــرُكُ طَائعـــا

بَـــنِيِّ وأهلـــي للمعانـــاةِ والقَهْـــر

ودَرِّ السـنينَ وقـد ترامَـتْ بِظِلِّهـا

وصارتْ مَعَ الأيامِ بَعْضاً مِنَ الذِكْـر

ودرّ بغـاة الظـالمين ومـن عتـوا

عتـوّ زنـيم الطبـع أولـع بالغـدر

ودَرُّ غُـــزاةٍ مُفْسِـــدينَ أُولي هَـــوى

يثـورُ بأحشـاهُم قـديمٌ مِـنَ السُّعْـر

ودَرِّ مَـــنْ ســـاموا بِهَضْـــمٍ رجالَهُـــمْ

وقَـد تَرَكُـوهُم أُمَّعَـاتٍ مِـنَ الخَـــتْرِ

صَـغيرٌ مِـنَ الأبنـاءِ يَقْـدُمُ صَفَّهُـم

وليـثٌ هِزَبْـرٌ يحـبسُ اليـومَ في وَكْـــر

وقـد صـارَ هَضْـمٌ القـومِ طَبْعـاً مُبَرْمَجـاً

يُبَرْمِجُـهُ العُصْـفورُ للباشِـقِ النَّسْـــر

وصـارت حُظـوظُ الـنفْسُ هَمّـاً لِصـاحِبٍ

وقـد أثْقلـت والـنفسُ حُبْلى مِـنَ الذُّعْـر

فَصُـرنا وصـارتْ دارُنـا–وهـي حُـــرَّة

تَهَتَّكَهـا العُـدوانُ–مَفْسَـدةَ الدهْـــر

وقـد صـار ربُّ الـدارِ نَفَّـاخَ كِيرِهـــا

لـه نَفْخَـةٌ في الشَـرِّ أقـوى مـن الشَّـرِّ

فصُـرْنا وأقْـدارُ الحيـاةِ كمـا تـــرى

نُبـاعُ ونُشـرى بـالرخيصِ مِـنَ السِعْـر

غنـائمُ للطـاغينَ طَـوْرا وتـــارةً

لِفارسِـها المقْـدامِ والمِلْهَـمِ الصقْـــر

ولله دَرِّي حـــينَ ألتَحِـــفُ المِنـــى

وأَمْكُـثُ لا أدري الصباحَ مِـنَ الظُهْـر

وقـد أَزِمَـتْ دَهْيـاءُ واشـتدَّ كربُهـا

وبـالَ حِمـارٌ فـوقَ ناصـيةِ المهْـر

ألفّـتُ يبكيـني حنيـني وموقـفي

ويُدمي فـؤادي عَجْـزُ روحي عـن النَّشْـر

وقـد لاحَ في الأُفْـقِ البعيـدِ نذيرُهـا

وحَصْحَصَـتِ الأيـامُ عَـنْ واقـعٍ مُـرّ

فقلـتُ وبعـضُ القـولِ آهٌ مُبَـرِّحٌ

لـه خَلَـجٌ في القلـبِ يَحْـرِقُ كالجَمْـر

عليـكَ سـلامُ اللهِ شـعبا مُجاهـداً

ويَنْصُـرُكَ الـرحمنُ ربي علـى الغَـدر